٢٦١

HARLEQUIN

روايات احلام

عروس الوقت الضائع

رينيه روزيل

www.elromancia.com
مرمورية

عروس الوقت الضائع

عندما مات جدّها مات معه السبب الذي دفع كالي إلى القبول بالزواج بنيكولاس فاروس. وقررت أن تلغي هذا الزواج في صبيحة العرس...

- سيد فاروس... لا يمكن أن أتزوج بك... تصرف كما تشاء واغضب كما تشاء! أنا أعتذر، لكنني لا أستطيع فعل شيء للتعويض عن ذلك...

هذا الرفض حطّم كبرياء نيكولاس فاروس أمام المدينة بأسرها. وبدلاً من أن يغضب، عرض عليها مشروع عمل مغرياً...

... ثم انتظر أن يجمعه مع كالي سقف واحد، حتى يفرض التعويض الذي يرضيه. وماذا بيدّ كالي أن تفعل؟

لبنان: ٢٥٠٠ ل.ل.
سوريا: ٧٥ ل.س.
الأردن: ١,٥ دينار
الكويت: ٧٥٠ فلس
الإمارات: ١٠ دراهم
قطر: ١٠ ريال

البحرين: ١ دينار
السعودية: ١٠ ريال
مصر: ٦ جنيه
المغرب: ١٥ درهم
تونس: ٢ دينار
عمان: ١ ريال

ISBN 9953-15-098-2

روايات أحلام

مجلة قصصية أسبوعية

تصدر عن شركة دار الفراشة للطباعة والنشر والتوزيع ش.م.م

المدير المسؤول: آمال سابا الهاشم

حقوق النشر والطباعة والتوزيع باللغة العربية

محفوظة لشركة دار الفراشة للطباعة والنشر والتوزيع ش.م.م.

بترخيص خطي من Harlequin Enterprises II B.V

كل الحقوق محفوظة، بما فيها نسخ الكتاب بكامله أو جزء منه بأي شكل من الأشكال

تم نشر هذه الطبعة بالاتفاق مع شركة Harlequin Enterprises II B.V.

كل العلامات التجارية استعملت

بترخيص من شركة Harlequin Enterprises II B.V.

كل شخصيات هذه الرواية وهمية. أي شبه بين هذه الشخصيات وأشخاص حقيقيين أحياء كانوا أم أمواتاً هو محض صدفة

العنوان الأصلي لهذه الرواية باللغة الإنكليزية:

To Catch a bride

First published in Great Britain 2001

Harlequin Mills & Boon Limited

© Renee Roszel Wilson 2001

Translation © Dar El-Farasha - 2002

ISBN 9953 - 15 - 098 - 2

شركة دار الفراشة للطباعة والنشر والتوزيع ش.م.م. طريق المطار - سنتر زعرور -

ص.ب: ٨٢٥٤/ ١١ هاتف/ فاكس: ٩٦١-١-٤٥٠٩٥٠- بيروت - لبنان

Email: dfarasha@cyberia.net.lb

أعزائي القراء

لأننا عوّدناكم دائماً على أجمل الروايات العاطفية... ولأننا نعرف أن قراءنا لا يرضون بأقل من الأفضل... ولأن هدفنا دوماً المحافظة على واحة حب تخفّف من وطأة الآلام والهموم في عالمنا... لهذا، اخترنا أن تكون هديتنا إلى قرائنا في بداية هذا القرن هي انضمامنا إلى أسرة هارلكوين Harlequin العالمية.

لماذا هذا الاختيار؟

لأن شركة Harlequin هي رائدة الروايات الرومانسية في العالم أجمع، وهي تتعاون مع أفضل الروائيات في هذا المجال، وتصدر شهرياً أكثر من ٧٠ عنواناً جديداً.

ما هي نتيجة هذا الاختيار؟

ستظل روايات أحلام على سابق عهدها من حيث اختيار القصة الشيقة والأسلوب الرفيع واللغة السليمة... والتغيير الذي ستلاحظونه هو في زيادة عدد الروايات شهرياً، وتنوع الموضوعات لتناسب جميع الأذواق، وسيكون لمشاركتكم باختيار المواضيع المفضلة لديكم وبأسماء الروائيات اللاتي أحببتموهن، الدور الأساسي.

بكل إخلاص

أسرة أحلام

www.elromancia.com

١ ـ قرار لا رجوع عنه

دخلت كالي مكتب نيكولاس الخاص، وهي تشعر بارتباك شديد. لحسن الحظ، لم تصادف أي سكرتيرة في مكتب الاستقبال لتسألها عن سبب زيارتها، فقد كانت عاجزة عن إعطاء أي تفسير. كانت بحاجة إلى رؤيته بسرعة، قبل أن تصيبها نوبة بكاء هستيريّة.

منعها اضطرابها من ملاحظة فخامة مكتبه. كانت تعرف أنّ السيّد ڤاروس غنيّ، لكن وضعها النفسي حال دون تأثرها بالديكور من حولها. جاهدت لتمنع الدمع من أن يسيل من عينيها، واتجهت نحو رجل نحيل وطويل، يقف خلف مكتب زجاجي. وضعت يديها على المكتب البارد، ونظرت إليه بعينين خجولتين.

أيتها الجبانة! انظري في عينيه، فعلى أيّ واحدة تتراجع عن قرارها ليلة الزفاف، أن تواجه، لا أن تنظر إلى الأرض كالفأرة!

رفعت عينيها أخيراً، وقد صمّ صوت نبضات قلبها المتسارعة أذنيها، فخيل لها أنها لن تتمكن من سماع ما ستقوله.

ـ سيد ڤاروس...

وتفاجأت من نبرة صوتها التي بدت مقنعة.

ـ لا يمكنني أن أتزوّج بك!

بدت الدهشة على الرجل وحاول أن يتكلّم، لكنها لم تعطه أيّ فرصة.

ـ لقد توفي جدّي اللّيلة الماضية. وحين نقلت لي أمي خبر وفاته، أدركت

أنني قبلت بهذا الزواج لأنني أحببته فقط. كان هو من رتّب هذا الزواج وأراده. لم أكن أريد هذا الزواج قط. لقد وافقت عليه من أجل عائلتي.

حاول أن يتكلم مجدداً، لكنها رفعت يدها بسرعة لتمنعه من ذلك.

ـ أعرف، أعرف أن عائلتي يونانية وعريقة، وكذلك عائلتك. كما أعلم أن زواج أمي التقليدي كان ناجحاً. وصحيح أن جدّينا كانا صديقين حميمين لفترة طويلة، وأنهما حلما بلمّ شمل عائلتينا. لكنني أميركية، يا سيد ڤاروس.

كانت تبحث عن الكلمات، أي كلمات تجعل موقفها أقوى. وتابعت تقول: «لقد ولدت في الولايات المتحدة، ولا يمكنني القيام بهذه الخطوة! أرجوك افهمني، وحاول أن تسامحني يوماً ما!».

ثم خرجت من المكتب ووجدت أنّها أشبه بطفل جبان. لن يسامحها على خروجها، ولكنها ستصاب بالهيستريا إذا ما خاضت جدالاً معه.

قالت في نفسها إن ذلك أفضل لكليهما. كان ذلك الزواج أشبه بصفقة تجارية. وقد رسّخ اعتقادها المؤلم هذا، وجود من يسمّى «بخطيبها» في مكتبه، منذ السابعة صباحاً، ومتى؟!! يوم زواجه! من جهة أخرى، هذه أول مرّة تراه فيها. فقد حالت صفقاته المالية الدولية دون وجوده في البلاد حتى آخر لحظة قبل الزواج.

لا بدّ أنه مستاءٌ الآن، ولكن عليه تخطّي ذلك. حين عادت كالي إلى رشدها أخيراً وانجلى حزنها قررت أن تكتب له رسالة اعتذار.

شعرت أنها وحيدة. آه! لقد اهتمّت زو أنجيليس لأمر حماها لعدة سنوات، واضطرت للبقاء إلى جانبه حين تدهورت حاله الصحية، ففاتها حفل زفاف ابنتها الوحيدة الذي كان سيقام اليوم. تعرف كالي أن زو كانت بين نارين. لكنها ما كانت لتترك حماها يفارق الحياة وهو وحيد. فهمت كالي ذلك، وها هي الآن تشعر بالأسى والضياع، وتحتاج إلى دعم والدتها القوي.

الآن وقد ألغت ذاك الزواج، ما عليها سوى العودة إلى الفندق، وتوضيب الحقائب، والرحيل إلى سان فرانسيسكو. عليها العودة إلى كانساس لتكون

مع أمها، وتودّع جدّها كريس الوداع الأخير!

كان الأول من حزيران أشبه بكابوس بالنسبة إلى نيكولاس ڤاروس. فقد أجّل رحلته من طوكيو مرتين وكاد يفوّت زفافه.. من ثم اكتشف لدى وصوله إلى شقته في ساعات الصباح الأولى، عطلاً في أنابيب المياه.

كانت الفوضى تعمّ المكان، لذا اضطر إلى أخذ حمّام الزفاف في مكتبه.

والآن بعدما خلع سترته، جاءت خطيبته التي لم يلتقِها بعد، إلى مكتبه، تعلن لمساعده المرتبك أنّها لن تستطيع الزواج به.

ألقى نيكولاس نظرة من حجرة تبديل الملابس إلى مكتبه، فوجد مساعده مذهولاً يحدّق في الباب. استند نيكولاس إلى الباب وتنهد، ثم سأل مساعده بأسلوب ساخر: «ما الأمر يا تشارلز؟ ألم يسبق لك أن نبذتك امرأة؟».

زالت الدهشة عن وجه تشارلز حين سمع تهكّم نيكولاس، والتفت نحو مديره بوجه شاحب، ثم قال: «وهل هذا ما حدث يا سيّدي؟».

هزّ نيكولاس رأسه وهو يشعر بالتعب من جراء المشاكل التي واجهها وقلّة النوم. بالكاد أطبق جفنيه في الاثنتين والسبعين ساعة الأخيرة، وهو يحضر لشهر عسل مطوّل، هل هذا جزاؤه الآن؟

ـ لم يسبق أن هزمني أحد، ولكن بدا لي أن ذاك الخطاب يعني الوداع!

نظر إلى شارلز الذي بدا كئيباً، فحزن لأجله.

لأجله؟

شعر نيكولاس أنّه لم يستوعب بعد ما حصل. كان تعباً إلى درجة لم يقوَ معها على إظهار أي انفعال، لكنه أحسّ أنّ سخطه قد يظهر في أي دقيقة.

تناول سترته وهو يقول: «لا فائدة من التحسّر، ثمة أشياء علينا القيام بها!».

ـ هل أعلم المدعوين بإلغاء الزفاف سيّدي؟

قطّب نيكولاس، لسماعه سؤال تشارلز وقال: «كيف! بالطبع لا!».

ـ لكن سيدي...

فقاطعه غير راغب في مناقشته بشأن من يكلّف بمهمة إعلام الأصدقاء.

بأن زفافه ألغي... ثم قال له: «تشارلز، فيما أنقل للمدعوّين هذا الخبر السيء، ابحث أنت عن رقم هاتفها».

استفهم تشارلز: «هل تريد أن أتصل بخطيبتك في الفندق؟».

وصل نيكولاس إلى باب مكتبه، ثم عاد أدراجه. بات الآن يعي ما حدث معه، وبدأت النيران تلتهم أحشاءه. لقد نبذته يوم زفافه. جاء المدعوون، من ملوك ورؤساء جمهوريّات، من كافة أنحاء العالم لحضور مراسيم زفافه، كان هناك خمسمائة مدعوّ يتحضرون لحفل زفافه، فإذا بامرأة من كانساس توجّه ضربة عنيفة لمستقبله الشخصي وكرامته! ها هو يقف الآن كموظف بائس تم فصله للتوّ من عمله!

ـ اللّعنة! أريد منك أن تتصل الآن بخطيبتي في الفندق.

وهمّ بالانصراف، ثم توقف والتفت نحو شارلز وقال: «أقصد خطيبتي السابقة».

ـ وماذا تريد مني أن أقول لها سيّدي؟

ـ لا تقلق يا شارلز، سأخبرك بما ستقوله حالما أعود.

وخرج من المكتب. بعد أن بدأ يدرك الورطة التي وقع فيها، انتابه دوّار الإهانة على مستوىً عالمي. ضغط على زرّ المصعد لينزل إلى حيث ينتظره فطور فخم. بعد ساعات قليلة، سوف يواجه أكثر المواقف إذلالاً. سوف يجبر على الاعتراف بذلك أمام الجميع، سوف يعرف الجميع أن زوجته العتيدة عدلت عن الاقتران به، يوم زفافهما.

أخذ يتفرّس في باب المصعد وهو يشعر برغبة قويّة في ضربه بشدّة. هزّ رأسه وتخللت يده المرتجفة شعره. من السخف أن يؤذي نفسه من أجل فتاة من كانساس. ضغط مجدّداً على زرّ المصعد وهو يحتقر نفسه.

لِمَ؟ لمَ يحصل معه كل هذا؟ هو، نيكولاس ڤاروس، الّذي طالما احتقر رفاقه لعدم تمكنهم من المحافظة على عائلاتهم. ما كان أبداً ليتصوّر أن كل هذا يحدث معه! والداه لم يتمكنا من البقاء طويلاً معاً، أما هو فكان مصمماً على ألاّ يحذو حذو رفاقه ووالديه. لكن ما جرى خيّب آماله!

بعد أن استمع لسنواتٍ، إلى حجج أهله وشكاوى رفاقه، قرّر أن يكون زواجه تقليدياً. زواج مبنيّ على المنطق!

أخذت نفسه توبّخه ساخرة منه، فيما تردد صدى رفض كالي له في رأسه، فراح يصرّ على أسنانه. تذكر قول جدّه إن الزواج من عائلة أنجليس، زواج ناجح وأبدي. جدّه الّذي أنقذ، حين كان في العشرين من العمر، كريستوس أنجليس من حادث اصطدام. ومنذ ذاك الحين، أصبحا صديقين عزيزين وأقسما على جمع شمل عائلتيهما. في بادىء الأمر، ضحك نيكولاس لفكرة الزواج بغريبة من كانساس. لكنه اقتنع بالفكرة بعد أن رأى صورة لها ووجدها جذابة.

ومع أنها لم تكن رائعة الجمال، إلا أنّ شعرها أسود لمّاع، وعينيها واسعتان وابتسامتها ساحرة. لكن عليه أن يعترف الآن بأن الصورة لم تكن كافية للحكم عليها!

كانت عائلتاهما قد قدمتا من مدينة كونيوبوتي من اليونان، وتحملان الجذور نفسها وتؤمنان بالمعتقدات نفسها. فضلاً عن ذلك، جمع العائلتين وعدٌ، أقسم الجدّان على الوفاء به.

لم يطل نيكولاس التفكير في الأمر، فهو رجل لطالما اهتم بالمنطق والنظام، لذا امتثل أخيراً لرغبة جدّه.

لقد حالت أعماله دون لقائه كالي، وقد ألغى مواعيد عدة معها، لانشغاله بأسفاره. لكن هذا لا يعني أنّه لم يعتد فكرة الزواج بها.

ها قد دخلت إلى مكتبه في يوم زفافهما وضربت بكل مشاريعه المنظمة عرض الحائط. استشاط غيظاً وقال: «آنسة أنجليس، لن تنجي بفعلتك!».

وانفتح باب المصعد أمامه على مصراعيه فدخل.

ـ لن يستغرقني الثأر منك الكثير من الوقت، ثلاثة أسابيع ستكون كافية!

وأغلق باب المصعد.

لم تودّ كالي التفكير بشيء، لا بوجه خطيبها السابق حين أعلمته برفضها الزواج به، ولا باليوم الشاق الّذي ينتظرها للعودة إلى مدينة كانساس، ناهيك

عن أفضل طريقة لتوضيب فستان عرس لم تستعمله.

ماذا ستفعل به حين تعود إلى المنزل؟ هل ستبيعه؟ لقد أمضت والدتها ساعات وساعات، تخيط المئات من حبات الخرز على الياقة والكمّين. حدّقت بالفستان الأبيض وشعرت بتأنيب الضمير. كان قبولها بذاك الزواج تصرفاً أرعن. كيف قبلت بزواج رتّبه لها جدها؟ هل فقدت صوابها حين وافقت على ذلك؟

ضغطت بكلّ قوتها على الحقيبة ثم قالت لنفسها: «لا تندمي على ذلك يا كالي أنجليس. لم تحبّي ذاك الرجل. لم ترَي إلا صورة له حين كان في السابعة عشرة من العمر!».

عليها أن تعترف أن الرجل اليافع الذي رأته في المكتب، لا يشبه الصورة التي حملها جدّها في محفظته لعدّة سنوات.

بحسب الجدّ كريس، زار نيكولاس عائلة أنجليس في كونيبوتي في العطلة الصيفية التي سبقت مجيئه للعيش مع كالي وأمّها زو.

غمغمت قائلة: «لعل الابتسامة هي التي جعلت الفرق كبيراً بين شخصه وبين الصورة التي يحملها له كريس!».

من المؤكّد أنّه لم يبتسم لها هذا الصباح، حين اقتحمت مكتبه، بدا شاحباً، ومختلفاً تماماً عن الصورة التي رأتها مع جدّها كريس. لقد عرفت من جدّها أنه شاب رياضي، محبّ للمرح والحياة، شاب لا تفارق الابتسامة وجهه. ربّما قضت سنوات العمل على روح المرح والعفويّة اللّذين كانا يميّزانه.

صرّت على أسنانها وهي تشدّ بعنف سحاب الحقيبة، قائلة: «من ثم لا يكفي أن يتكلّم جدّي كريس عنه بحماسة بالغة، ليكون زوجاً مناسباً لي. فالمال والمركز ليسا كلّ شيء في هذه الدنيا!».

نجحت في إقفال الحقيبة بعد جهدٍ جهيد، وحملتها لتضعها تحت السرير. في هذه الأثناء، رنّ جرس الهاتف فأجفلها وسقطت الحقيبة من يديها على رجليها.

ـ آه!

تجهّم وجهها وهي تتساءل عن مصدر المكالمة. من يكون؟ أمها، أو شخص آخر؟

ـ لعله ڤاروس. ربّما قرر مناقشة المسألة قبل أن أغادر البلاد.

اتجهت نحو الهاتف وهي تنوي أن تنهي المكالمة فوراً إذا ما كان المتصل السيد ڤاروس.

ـ آلو. ماما؟

خيّم الصمت لثوانٍ ثم سمعت: «لا».

عرفت فوراً صاحب الصوت. إنه الرجل القاسي الّذي نبذته هذا الصباح.

أجابت متلعثمة: «آه، سيّد ڤاروس. لا يمكنني الكلام الآن، سأفوت موعد الطائرة».

لم يكن ما قالته صحيحاً، فاسمها على لائحة الانتظار. لأن الرحلات المتجهة إلى كانساس محجوزة كلها.

ـ لن آخذ الكثير من وقتك.

أغمضت عينيها وأذعنت للأمر: «حسناً؟!».

وتراءت لها صور من حياتها وحين أغمضت عينيها توقّعت أن تسمع نبرة حادة إلاّ أنها فوجئت بسماع صوت هادىء.

ـ كيف يمكنني أن أساعدك؟

ولعنت نفسها ما إن تفوّهت بهذه الكلمات. ثم أخذت توبّخ نفسها: «هل عليّ أن أغرز سكيناً في صدره؟ في النهاية، أنا من تخلى عنه بكل بساطة!».

وتابع المتّصل يقول: «بما أنك مستشارة للأبنية التاريخية، سأكون شاكراً إذا ما بقيت في كاليفورنيا لثلاثة أسابيع أخرى، على أن تقيمي في العقار الّذي اشتريته مؤخراً في فيكتوريا. أحتاج لخبرتك لتحويله إلى مكان سياحي. فكما تعلمين، كان مشروع التجديد جزءاً من عقد زواجنا».

وقفت كالي غير مصدقة، فيما تابع المتّصل يقول: «يجب أن أجدد المنزل في غضون ستة أشهر، لاستقبال اجتماع مهم. لذا نحن في سباق مع

الوقت».

هزّت رأسها غير مصدّقة. كان يتصرف كزبون عادي، مع أنها توقعت منه أي شيء غير هذا التصرف. كان يتكلّم كبوّاب فندق من دون أي انفعال أو تكدّر. من المؤكد أن الصفقات التجارية لا تكون مشحونة بالمشاعر. لقد كانت بلهاء حين ظنت أن رفضها الاقتران به سيؤثر فيه سلباً.

لكن السيّد ڤاروس لم يكن غير غاضب فحسب، بل عرض عليها أيضاً مهمة مغرية. إن أحد أسباب موافقتها على الزواج بالسيّد ڤاروس هو أنه رجل ذو سلطة ومعارف رفيعي المستوى.

كلّما كان موعد الزفاف يقترب، كلما كان اقتناعها بأنّه يبحث فيها عن الزوجة المضيفة يترسخ. وكان يعزّيها التفكير بأنّها ستحصل منه على الدعم في حياتها المهنيّة. كان زواجها منه زواج عقل، لا مكان فيه للمشاعر والأحاسيس. وكانت تنوي تحويل منزل الڤاروس إلى مكان سياحي لتصوّر أشهر المجلات انجازها فتصبح من المشاهير.

ـ آنسة أنجليس؟

خرجت من دوامة التساؤلات التي جرفتها عند سماعها صوته، فقالت: «نعم. ما زلت معك».

ـ ما رأيك إذاً؟

لم تكن تتوقع أن يطلب منها ذلك، لذا لم تعرف بما تجيبه. رأت أنه من الغريب أن تنبذ امرأة رجلاً، لتجده بعد ساعة يعرض عليها عملاً مغرياً.

ـ لكن هذا... هل أنت متأكدة؟

ـ أنا مثلك لا أملك الكثير من الوقت آنسة أنجليس. أمامك دقيقة لتعطيني جواباً، ما رأيك؟

تملكت الحيرة كالي، فالتفكير بهذا العرض علامة واضحة على أنّها عاجزة عن ترك هذه الفرصة تفلت من يدها. تنفست بتوتر، وشعرت بتأنيب الضمير لعدم التزامها بوعد الزواج الذي قطعته. بدا لها في غاية التسامح بعرضه هذا، بعد رفضها الفظ له. هل ستتجرأ على قبوله أو رفضه؟ كم يبلغ

عدد مستشاري البناء الّذين ذكروا في مجلة «أركيتا كتشيرال دايجست الشهيرة؟»

ـ أما زلت على الخطّ؟

ـ نعم، ما زلت معك.

راودتها فكرة وأرادت أن تعبّر عنها، فقالت: «هذا لطف منك أن تعرض عليّ هذا العمل على الرغم من كل ما حصل، لكن...».

فقاطعها قائلاً: «لا تعتقدي يا آنسة أنني أقدم لك هذا العرض لأراك. أعدك بأن يكون أي لقاء بيننا قصيراً، قدر المستطاع».

كيف علم أن هذا ما كانت ستطلبه؟ هل يقرأ الغيب؟ بدا لها متسامحاً، وصاحب حدس قويّ. حسناً، إذا لم يزعجه إخلالها بوعدها، فلِمَ ترفض هذه الفرصة؟

ـ في الحقيقة، عليّ الذهاب إلى كانساس لحضور مراسيم...

واختفى صوتها، لشدة تأثرها بمصابها الأليم.

ـ أعتقد أن أسبوعاً هو وقت كاف. أعلميني بموعد رحلتك وسوف يستقبلك أحدهم في المطار عند عودتك.

وانقطع الاتصال. بعد ثوانٍ أدركت كالي أنّه أقفل الخط، بعد أن أنهى الكلام عن الصفقة بينهما.

انتابها دوار ولكنها وجدته محقاً. لمَ ترفض عرضه؟ إن تجديد منزل آل ڤاروس سيكون مفيداً لكليهما حقاً. وارتمت على كرسي بقربها، وأخذت تحدّق في الفراغ طويلاً. كان هذا اليوم يوم زفاف فظيع، يوم مليء بالأسى والذنب. لقد حنثت بوعدها إنما بلسان معسول. لم تسيء يوماً التصرف إلى هذا الحد، فشعرت بالخجل. بدا لها من غير الطبيعي أن يكافئها الرجل نفسه الذي أخطأت بحقّه.

لكن سماع صوت السيد ڤاروس جعلها تفكر، وكأن ما جرى اليوم مضى عليه وقت طويل. فقد بدا لها يومه حافلاً بالقروض والديون. ربّما لا يمثل نبذ كالي انجليس له أكثر من هوّة كبيرة، سينجح في ردمها عمّا قريب. نهضت

عن مقعدها واستقامت. فهي الآن لا تملك القوة لتكون متفاجئة بلامبالاته. رتبت سريرها وحملت حقيبتها. حان الوقت لتعود إلى منزلها وتواسي أمها وتحيي جدها، التحية الأخيرة.

نظر نيكولاس إلى نفسه في مرآة حمام مكتب. الآن وقد خلع بذلة العرس، عليه أن يشعر بالراحة. لكن تعابير وجهه لم تعكس أي شعور بالارتياح.

ما إن دخل مكتبه حتى أقفل شارلز سماعة الهاتف ونهض عن كرسيّه الجلدي: «متى ستأتي؟».

بدا التعجب على شارلز وأجاب: «في الأسبوع القادم. قلت لها إن شخصاً سينتظرها في المطار، كما طلبت مني. ولكن كيف عرفت أنها ستقبل، سيّدي؟».

أخذ نيكولاس يتمطى، محاولاً إزالة التوتر الّذي يشعر به ثم قال: «إنّه الطمع يا شارلز. الطمع والغرور».

وصرّ على أسنانه ثم تابع قائلاً: «ما عليك سوى وضع الطعم المناسب في الصنارة لتصطاد السمكة».

جمع شارلز بعض الملفات وحملها، ثم قال: «ظننت أنك أنت المتكلّم، سيّدي».

والتفت ليواجه رئيسه وقد بدا على ملامح وجهه وكأنه يتهمه.

ـ لن تقوم بأي تصرف متهوّر، أليس كذلك سيّدي؟

لهجة شارلز التحذيرية جعلت نيكولاس يشعر بالامتعاض.

ـ بالطبع لا! أنوي التخطيط للثأر بحذر.

لم يصدق شارلز كلام رئيسه، وازداد شحوب وجهه وقال: «لكن سيّدي، لقد جعلت مدير قسم المحاسبة في الشركة يبكي. قد...».

ـ لا تكن سخيفاً، لم يبكِ. كان يعاني من حساسية في عينيه. فضلاً عن هذا، إنه رجل أبله. لقد خسّرنا الملايين لأنه لم يعمل بنصيحتي.

وتابع قائلاً: «سأعلّم الآنسة أنجليس ما الّذي يحلّ بأولئك الّذين يخلفون

وعدهم لي».

تندّى جبين شارلز بالعرق، وبدا خائفاً إلى درجة جعلت نيكولاس يشفق عليه. كان مساعده مديراً ممتازاً، لكنه ينزعج من القساوة.

وضع نيكولاس يده على كتف شارلز وقال: «لا تقلق يا عزيزي. لن آكل تلك الآنسة حيّة، بل سألقنها درساً بسيطاً».

وضحك لكن ابتسامته كانت أشبه بتكشيرة.

أجفل شارلز بعد أن بدأت قبضة نيكولاس على كتفه تؤلمه. وأبدى انزعاجه فتراجع نيكولاس قليلاً رافعاً يده عن كتفه، وقال: «ألا تظن أنها تستحق أن نزعجها قليلاً؟».

تفرّس في الرجل وقال متجهّماً: «لكانت ردّة فعلك مختلفة لو كنت أنت موضع سخرية صحف سان فرانسيسكو!».

* * *

٢ ـ أفي بوعودي . .

بعد أسبوع ترجّلت كالي من الطائرة في مطار سان فرنسيسكو، وهي لا تملك أدنى فكرة عمّا ينتظرها. اتصلت هذا الصباح بمكتب السيّد ڤاروس لتطلعه على برنامجها، فأكدت لها عاملة الهاتف أنّها ستبلغه رسالتها. وهكذا، أوكلت إلى شخص غريب مهمة إعلامه بوصولها.

بقيت بعض الشكوك تساورها بشأن قبول العرض الّذي تلقّته، شكوك لم تجد منها خلاصاً. هل سيتركها تنتظره في المطار؟ لم تصدّق أن السيّد ڤاروس رحب الصدر إلى هذا الحدّ!

سلكت ممراً طويلاً مع الركاب الّذين كانوا معها على متن الطائرة.

كان المطار يعج بالناس ويزخر بالحركة والأصوات الصاخبة. لذا، لم تستطع التعرّف إلى «الشخص» المناسب الّذي طلب منه استقبالها. هذا، إن كان ثمة من جاء حقاً لاستقبالها.

جلست بعيداً عن المسافرين المتحمسين. تتأمل حركة المطار المتواصلة والناشطة، وتتساءل كيف سيجدها مرافقها؟ أتراه رأى الصورة التي بعثت بها إلى السيّد ڤاروس قبل أن يتم ترتيب ذاك الزفاف.

أرخت حمالة حقيبتها عن كتفها ووضعتها على الأرض. وأخذت تراجع للمرّة الألف كلّ ما جرى معها. أولاً رفضت السيّد ڤاروس. من ثم، اتصل بها وعرض عليها فرصة تجديد منزله. ثم أنهى مكالمته الهاتفية، قبل أن تعده

بالحضور حتى. وهكذا ظلت حائرة طوال الأسبوع تفكّر بأنه من غير المعقول أن تقبل، ومن غير المعقول أن ترفض.

بحثت عن صور قديمة لمنزل ڤاروس فبدا لها مذهلاً. وعرفت أن الوقوف أمام هذا المبنى، يخطف الأنفاس.

إن الحصول على هذه الفرصة أشبه بالمشاركة في الألعاب الأولمبية. لذا، من الصعب رفضها فهي تمثل الفرصة التي حلمت بانتهازها.

من جهة أخرى، إنها تدين للسيد ڤاروس. كانت تعلم أنها ستقوم بعمل جيّد، لا بل رائع. على كل حال، يجب أن يكون عملها رائعاً خاصة أنه يجدر بها التعويض عن إخلالها بوعدها. وهذا أهم بكثير مما قد يقدمه هذا العمل من دفع لمهنتها.

اعترتها موجة توتر جديدة وأخذ حذاؤها العالي الكعبين يزعجها، لكن ذلك لم يكن إلاّ ثمناً قليلاً بعد ما سببته للسيّد ڤاروس من أذىً. ارتدت ثياباً أنيقة جداً رغبة منها في ترك انطباع جيّد لديه. ومع أنه وعدها بألاّ يراها، فقد حرصت على ألاّ يسمع عن مشروعه أو عنها أي تعليق سلبي. عليها أن تظهر بمظهر المحترف والخبير من رأسها حتى أخمص قدميها، وألاّ تتملق في تصرفاتها. يجب أن يكون كل شيء على أحسن حال. عليها أن تثبت للسيّد ڤاروس أنه لم يخطىء حين وضع ثقته فيها.

أخذت تمشي علّها تخفف الألم الّذي سبّبه لها حذاؤها العالي. وتفرست في كل المارة وقد علت ابتسامة يائسة وجهها، وكأنها تقول لكل واحد منهم: «أرجوك كن من قبل السيّد ڤاروس».

بعد انتظار دام خمساً وأربعين دقيقة، شعرت بوهن كبير في ساقيها وبألم في عضلات وجهها من جراء ابتسامات المجاملة التي وزّعتها على المارّة. وقفت في آخر جناح الاستقبال وقد بدا المطار خالياً من الوافدين حتّى من أولئك الّذين وصلوا متأخرين.

بقي في المطار عدد قليل من الأشخاص الذين كانوا في طريقهم للخروج. ومع ذلك، شعرت كالي بأنها وحيدة، وتمنّت لو بقيت جالسةً

تنتظر بدلاً من ذرع قاعة الوصول جيئة وذهاباً.

لم تود التسليم بأن ذاك العرض كان مجرد مزاح، وأن السيّد ڤاروس لم يشأ إعطاءها المشروع. بقيت تقدم الحجج لنفسها، آملة أن يأتي أحدهم أخيراً لاستقبالها. ربّما هناك زحمة سير أو...

يمكنها أن تتصل بمكتبه، فهي تحمل الرقم معها. لكن لمَ انتظرت طويلاً قبل أن تبحث عن هاتف؟ لم لم تشترِ هاتفاً خلوياً بعد؟ الكل يحمل اليوم هاتفاً خلوياً. هذا ما وعدت نفسها بشرائه ما إن تحصل على هذا العمل أو... هذا المزاح؟

تنهّدت وهي تفكّر: «ماذا لو أتى أحدهم لاصطحابها ولم يعرف أنّها هي صاحبة الصورة؟».

كان شعرها أقصر في الصورة.

ـ ربّما كان عليّ أن أحمل لافتة أكتب عليها أنني كالي أنجليس.

ـ ما من داعٍ لذلك!

سمعت صوتاً ذكورياً من خلفها يجيبها، فأجفلت. كان صاحب الصوت رجلاً طويل القامة، قوي البنية، ذا شعرٍ لمّاع أشبه بهالة من النور، تحت أشعة الشمس. أما وجهه فبارز القسمات. غطّت نظارات شمسية عينيه فودّت لو ترى تعبيرهما، لا سيّما أن ابتسامته عكست رهافة إحساسه. وبدا لها من ابتسامته أنّه يستلطفها ويستغربها في آن معاً. ربّما غيّر برنامجه ليأتي لاصطحابها.

قال لها بنبرة متكاسلة: «جئت لأصطحبك آنسة أنجليس».

بدت نبرته ساخرة مغرية. واقتنعت بأنه أتى فعلاً من قبل السيّد ڤاروس، بعد أن لاحظت ملابسه البسيطة، سروال جينز وحذاءً عملياً. بدا لها وكأنه يقول: «هذا ما أنا عليه، عليك أن تعتادي على ذلك!».

شعرت بالتقدير لما هو عليه، فقد كان بعيداً كل البعد عمّا توقّعته.

تنحنح، ومع أنّها لم ترَ عينيه، إلا أنها رأت أن السخط بدأ يغلب على التسلية البادية على شفتيه. بدا لها أنّه يتوقع منها جواباً وجواباً سريعاً.

غمغمت متأخرة: «سائقي؟ شكراً جزيلاً!».

ـ إنه لمن دواعي سروري.

وحمل حقيبتها مقطباً جبينه، فعرفت أنّها ليست الحقيقة.

ـ اعتقدت أنّ أحداً لن يأتي لاصطحابي، لقد تأخرت كثيراً.

ـ حقاً. ربّما لم أحصل على الوقت المحدد لوصول الطائرة.

وأشار إلى الاتجاه الّذي سيسلكانه وسبقها حاملاً حقيبتها.

ـ أخيراً جئت، وهذا ما يهم. أعتقد أنك ستقلّني إلى منزل السيد ڤاروس.

ـ اعتقاد صائب.

بدت تعابير وجهها ناقمة على تصرفه الفظ، لكنه لم يتنبّه لذلك لأنه أشاح بنظره عنها. مشى بخطوات واسعة، فاضطرت للركض لتلحق به. وكان ذلك أشبه بالعذاب لشدة ما آلمتها رجلاها.

ـ هل من داعٍ للعجلة؟

لم ينظر إليها أو يخفف من سرعته، فنظرت إليه بحنق وقالت: «حقاً؟ وكيف كنّا لنمشي لو أننا على عجلة من أمرنا؟».

ولكن حين ألقى نظرة خاطفة عليها، خفف من سرعته وسألها مستفهماً: «هل أمشي بسرعة كبيرة؟».

ـ لا، بالنسبة إلى مباراة ماراتون. ولكن إذا أردت ألاّ تضيعني في المطار، فعليك أن تخفف من سرعتك. هذه ليست أحذية رياضية.

وأشارت إلى الحذاء العالي الكعبين الّذي تنتعله وقد بدت أمارات اللوم على وجهها.

لم يكلّف نفسه عناء النظر إلى رجليها، ولكنها لاحظت تعابير وجهه.

ـ عفواً.

خفف من سرعته قليلاً، فكان ذلك مثالاً واضحاً على الاهتمام البسيط الّذي يوليه لمشاعرها. فقالت وهي تعدو بأقصى سرعتها لتتمكن من المشي بقربه: «هكذا أفضل بكثير، شكراً».

ـ أهلاً.

قطبت جبينها. خرجت كلمة (أهلاً) من فمه وكأنها (اذهبي إلى الجحيم).

قالت وهي تلهث ككلب بائس: «علينا أن نحضر الحقائب، هل تعرف الطريق؟».

نظر إليها نظرة جافة أو بالأحرى اعتقدت ذلك، لكنّه لم ينبس بكلمة، وانعطف في سيره فتبعته.

سألته محاولة بدء حديث معه: «إذاً ماذا تفعل في الحياة غير ملاقاة الوافدين في المطارات؟».

ـ أهتم بأموري الخاصة.

أجفلها جوابه ولكنها حافظت على توازنها خوفاً من أن تقع. أمسكت بمعصمه فوجدته قوياً مليئاً بالرجولة. لم تكن تتوقع شيئاً من جراء لمسه، لكنه ترك فيها أثراً كبيراً. قالت وكأنها تنذره بفصله من مركزه: «أعتقد أنّك تعمل لحساب السيّد ڤاروس».

وإذ لم يجبها، تابعت تقول: «لأنه يجب أن يعرف كيف تتعامل مع الناس!».

توقف مرافقها فجأة، فكادت تصطدم به. تراجعت إلى الخلف بعد أن التفت إلى يدها التي تمسك بذراعه بإحكام، فأبعدها بحركة خفيفة من معصمه، ثم نظر إلى حقائب السفر وأشار إلى واحدة منها قائلاً: «احملي حقيبة منها، آنسة أنجليس!».

أمسكت بالحقيبة: «لن يكون ذلك بالأمر الصعب. ثمة واحدة بعد!».

ـ سأحملها لك سيّدتي.

ونظر إليها نظرة ملؤها الاستهزاء ثم أشاح بنظره عنها.

قطبت جبينها وقررت ألاّ تتفوّه بأي كلمة مثله. وبعد بضع دقائق، كانت تجلس في سيارة رياضية، بالكاد تتسع لهما وللحقائب.

ما إن بدأت السيارة بالتوجه شمالاً حتّى راحت كالي تتساءل عن هذا

الشاب الّذي أوكلت إليه مهمة اصطحابها إلى منزل آل ڤاروس البعيد. فتمنت ألا يكون المنزل بعيداً جداً، فمرافقة شخص نكد هو آخر ما تتمناه. أسندت رأسها إلى مسند مقعدها رغبة منها في الاستمتاع بالنسيم البارد الّذي يدغدغها، وبأشعة الشمس. وبعد قليل، أدركت أنّهما يمران بالغولدن غايت بريدج، ذاك الجسر الذائع الصيت في العالم، فاستقامت في جلستها لتنظر إلى المشهد الرائع للمحيط والمنحدرات الصخرية غرباً.

أما في الشرق، فكانت الهضاب الخضراء تنتشر في كل مكان. فيما امتد تحتهما خليج سان فرنسيسكو بأحواضه المزدحمة بالمراكب، التي تمخر عباب مياه الخليج الزرقاء.

تنشقت رائحة البحر فسرها شعور النشوة الّذي أحسّت به، من جراء ذلك. لكن ابتسامتها اختفت حين نظرت إلى مرافقها العابس. لاحظت أن النسيم عبث بشعره الّذي كان مسرّحاً بأناقة فتدلت خصل منه وغطت جبينه. كانت شمس بعد الظهر تضيء وجهه، فلم تستطع كالي إلاّ أن تعترف بوسامته الفائقة على الرغم من تعابير وجهه المشاكسة. بدا لها قوياً، مفعماً بالرجولة، فجذبها ذلك وجعلها تشعر بالاضطراب في الوقت عينه.

لسوء الحظ، وعلى الرغم من أنه نكد وكثير التذمّر، سرت في جسدها رعشات من جراء الانجذاب الذي شعرت به نحوه.

أزعجها ذاك الشعور الّذي اجتاحها للحظة عابرة. لمَ تجده مغرياً؟ فقد كان فظاً وعابس الوجه. استقامت في جلستها وفكرت في تبادل الحديث معه مرة أخرى. فقد فضلت ذلك على تأمل لمعان شعره أو قسمات وجهه الجذّابة.

ـ سيارة جيّدة، هل هي لك؟

ـ لا، إنها إحدى سيارات السيّد ڤاروس.

أومأت برأسها بعد أن اقتنعت بكلامه، فالقليل القليل من الناس قادر على شراء سيارة فخمة كهذه.

ـ إذاً أنت السائق؟

ـ أحياناً.

سألته محاولة إثارة غضبه: «حين لا تكون مشغولاً بإلقاء محاضرات عن التعامل بلباقة مع الآخرين».

لم تعرف لما رغبت في ذلك، ربّما لأنّه يستطيع إثارة غضبها بسهولة.

لكنها لم تفلح في ذلك، فقد أبقى تركيزه على الطريق أمامه. لا، ليس تماماً، فقد ثنى ذراعاً. وتساءلت عمّا إذا كان ذلك يعني أنّه يشعر بتشنج من جراء إمساكه المقود بإحكام. حسناً! إذا كان ينوي إثارة غضبها، فستردّ له الصاع صاعين.

ـ هل لديك اسم؟ أم أنك إنسان آلي مع مشكلة فنيّة في برنامجك؟

قطب جبينه لسماعه الكلام الموجه إليه، فيما التفتت هي نحوه، فأعجبت بالضوء والظلال على قسمات وجهه الحادة. ولكن ما إن انتبهت إلى افتتانها به، حتى حوّلت ناظريها عنه نحو الطريق. وإذ لم يجب، لم تجد أمامها من سبيل إلاّ النظر إليه مجدداً ومعاودة طرح سؤالها بصوت أعلى: «سألتك هل تملك اسماً أو...».

ـ سمعتك آنسة أنجليس.

بقيت تحدق فيه من دون أن تنبس بكلمة. إن اختار أن يكون فظاً، فهذه مشكلته. وهي لا تأبه إن كان يملك اسماً أم لا يملك.

وبعد مرور وقت طويل، أجفلتها إجابته: «بعض الناس يدعونني بپال».

وحين أفاقت من الدهشة التي تملكتها بعد أن تكلم معها، أخذت تتأمله: «هل أنت جاد؟ لا يليق هذا الاسم بشخصيتك النكدة!».

لم يجبها بل تابع القيادة بهدوء.

پال؟ لم يكن اسمه يتطابق مع الصورة البغيضة التي كونتها عنه. قررت أن تبحث عن المعاني المحتملة لاسم پال، بصوت مرتفع.

ـ ثمة معنى واحد يمكننا استثناؤه من قائمة معاني اسمك، وهو الرفيق. لكن لا تطلب مني أن أفسّر لك لما استثنيت هذا المعنى.

أرادت أن تختلس النظر إليه لترى ردّة فعله، لكنها قاومت رغبتها.

أخذت تفكر ملياً لتجد الدافع وراء اعطائه هذا الإسم، ثم حدقت فيه: «لنر... إنها مهمة صعبة. هلاّ ساعدتني في ذلك؟».

كانت ردّة فعله الوحيدة على كلامها أنّ ضبط المرآة واندس بين صفوف السيارات. ما معنى ذلك؟ الإسراع للتخلص منها في أسرع وقت ممكن؟ شعرت بالدم يتدفق سريعاً نحو رأسها.

ـ حسناً، وجدتها!

طقطقت أصابعها ونظرت إليه ثم قالت: «لقد أطلق عليك هذا اللقب تيّمناً بسرطان النخيل! والأسباب هي أنك شخص تافه، جدير بالازدراء، بائس وحقير، متلاعب ووضيع!».

ابتسمت ابتسامة عريضة، وهي تشعر بالاعتزاز لاكتشافها هذا.

وسألته بنغمة فيها شيء من المرح: «هل أنا على حق؟».

ـ حقير وجدير بالازدراء؟

بقي يحدق فيها لحظة وهو يقود السيارة فبادرته بالقول: «لا، ليس هذا ما عنيته تماماً. كل ما عنيته هو أنك شخص تافه!».

ـ پال هو تصغير پاليكاراكي، وهو اسم أطلقه عليّ جدّي.

ـ پاليكاراكي؟

وتحوّلت ابتسامة كالي إلى تجهم.

ـ لكن هذا اسم يوناني ويعني بطلاً صغيراً!

كانت السيارة تعبر طريقاً شديدة الانحدار، وسط غابة من أشجار الصنوبر والبلوط والسنديان. وكان رأس سائقها يتمايل يميناً ويساراً.

قالت مجدداً: «بطل صغير. حسناً، من دون التطرّف إلى ما تزعمه عن جدّك، هل هذا يعني أنّك يوناني الأصل».

نظرت إليه بدهشة وأيقنت أنّه ليس من الغريب أن يستخدم السيّد ڤاروس أشخاصاً يونانيّ الأصل. لعل اليونانيين كثر في كاليفورنيا.

وإذا كان السيد ڤاروس قد اقتنع بالزواج بامرأة لا يعرفها، لمجرد أنها يونانية، فلا عجب أن يستخدم أناساً يونانيين. وهذا يفسر اختياره شخصاً

كپال ليعمل لحسابه، فقط لأنه يحمل الجنسية اليونانية!

ـ اعتقدت أنك ستعرفين المعنى الصحيح لاسمي سريعاً. لقد خيّبت أملي!

استشاطت غيظاً لسخريته، فقالت: «خيّبت آمالك؟ حسناً دعني أخبرك عن خيبة أملي!».

توقفت السيارة أمام بوابة من الحديد جميلة ومزخرفة. كانت الورود تزينها ومصابيح من الحديد تنتشر على جانبيها.

لاحظت كالي أن پال التفت إلى اليسار، فلاحقت نظراته، لكنها لم ترَ شيئاً في بادىء الأمر. وبعد أن أمعنت النظر لدقيقة، لاحظت كاميرا صغيرة مخبأة بين أغصان الأشجار.

تفاجأت كالي حين رأت البوابة تفتح من دون أن يتفوّه نيكولاس بأيّ كلمة، فسألته عمّا إذا كان لديهم صورة لكل موظف في الشركة.

لكنه لم يجبها بل تابع اجتياز البوابة التي فتحت أمامه، فيما نظرت هي إلى الخلف لترى كيف أقفلت البوابة لتمنع الآخرين من الدخول إلى هذه الممتلكات.

ـ هل ذكرت شيئاً عن خيبة الأمل آنسة أنجليس؟

ذعرت لطرحه السؤال، وتساءلت عن السبب الذي يجعل هذا الرجل يشعرها وكأنها على شفير نوبة غضب عارمة.

ـ خيبة الأمل؟

هزت رأسها محاولة إعادة التركيز. وذكّرها منظر البوابة الفخم بسبب وجودها هنا، فشعرت بالإثارة للفكرة وذلك لأول مرة منذ... حسناً بعد العرض الذي تلقته من محامي السيد ڤاروس لإعادة تجديد هذه الملكية، وبعد عدولها عن مشروع الزواج.

وشعرت بغصة في حلقها حين تذكرت أنها كانت مقتنعة بتلك الفكرة السخيفة، وأنها كادت تقدم على زواج رتبّه لها جدها.

ـ آه، حسناً! خيبة الأمل.

جاهدت لترى من خلال الأشجار. لكن، لمَ العجلة؟ فعمّا قريب، سترى المنزل. بدأت نبضات قلبها تتسارع ونظرت باستياء إلى پال. قريباً، سوف تتخلص من مرافقها المزعج.

ـ حسناً، سأخبرك ما هي خيبة الأمل! خيبة الأمل هي أن يأتي شخص فظ ونكد ليقلك من المطار. خيبة الأمل هي أن تمضي ساعتين طويلتين برفقة شخص نزق، سريع الغضب. وخيبة الأمل الفعلية هي أن تكتشف أن هذا الشخص النكد هو يوناني بخلاف اليونانيين الظرفاء واللطفاء!

استمرّت في تصويب سهامها نحوه والتفتت إليه آملة أن يضايقه تعليقها العدواني قليلاً، ثم ضربته ضربة قوية على كتفه وقالت: «هذه هي خيبة الأمل الحقيقية، هذه قمة خيبة الأمل!».

وانعطفت بهما السيارة، فرأت كالي لمحة من الألوان لا تشكل جزءاً من الاخضرار الذي يطغى على المكان. أمعنت النظر فوجدت أنها أزهار وورود زكية الرائحة، أشبه بجنة على الأرض.

أخذت نفساً عميقاً وتملكها شعور جارف وحار، فأدركت أنه الحبّ من النظرة الأولى. كان شكل البيت أشبه ببيوت ألف ليلة وليلة، عبارة عن زواج رومانسي بين القرميد والحجارة والخشب.

بدا لها المنزل غاية في الروعة من سقفه فنوافذه إلى أبوابه المزخرفة وشرفاته الحجرية وبرجه الشامخ. كان فريداً من نوعه وغريباً.

تنهدت وهي تشعر برغبة جامحة وقوية للبدء بالعمل.

ـ هناك الكثير، الكثير...

واختفى صوتها. لم يكن المنزل بالنسبة إلى كالي مجرد مزيج من الجصّ والخشب والحجر. بل بدا لها كياناً وكياناً حيّاً يتنفس، كائناً يملك روحاً وطبعاً خاصاً به. لكن سوء اختيار الألوان والإضافات التي ألحقت به شوهت جماله قليلاً.

وجدت كالي في فرصة المحافظة على تلك الثروة وإعادتها إلى ما كانت عليه، فرصة يحلم بها كل من يعمل في مجالها. لذا، أخذت تفكر بالدافع

الّذي حمل السيد فاروس على إيكال تلك المهمة لها.

بدأت صورة المنزل ترتجف أمام عينيها إلى أن أصبحت غير واضحة. وفيما كان مرافقها يركن السيارة، اغرورقت عيناها بدموع تقر بالجميل.

ـ أرى أن المنزل هو قمة خيبة الأمل؟!

ملاحظته الساخرة جعلت الدموع تنهمر من عينيها، والتفت نحوه مرتعشة وقالت: «لقد أخفتني!».

ثم مسحت الدموع بيدها من دون أن تشعر بالإحراج لأنها تبكي أمامه. ثمة أشياء لا يستطيع المرء منع نفسه من التأثر بها.

استند إلى مقعده ووضع يده حول مقعدها وقال: «اعتقدت أنك تعرفين أنني هنا!».

وتابع يقول بسخرية: «أنا آسف».

أدارت ظهرها له وأخذت تنظر إلى المنزل. كانت يداها ترتجفان من الغيظ وأخذت تتخلل شعرها بأصابعها. ثم التفتت نحوه وقالت: «عليك أن تكون آسفاً. سأجيب عن سؤالك.. المنزل لا يخيب الآمال. إنه رائع، وأنا متأثرة حقاً لأن السيد فاروس اختارني لتجديده. إنه مثال للجمال الفطري، وسيغدو عملاً فنياً رائعاً إذا ما عملت عليه بعين مبدعة، وعين تعنى بالفن الرفيع».

رفع ذقنه في دلالة واضحة على أنه ينظر إلى المنزل الّذي يقع في مكان ما خلفها. نظرت إليه باستياء. لمَ أزعجت نفسها بالتفسير؟ لم يكن يستمع إلى ما تقوله. فضلاً عن ذلك، كيف لسائق عديم الإحساس أن يفهم كيف يحرك الجمال حس الفنان المرهف وروحه المبدعة.

ـ حسناً.

هزت رأسها وأشارت إلى مؤخرة السيارة ثم قالت: «افتح لي الصندوق لأخرج حقائبي. لا أرغب في تمضية المزيد من الوقت معك».

ـ سأنقل لك الحقائب بنفسي يا آنسة.

تناهى إليها صوت رجل من خلفها، فالتفتت لترى خادماً، أبيض الشعر،

يرتدي بذلة سوداء، ويقف عند السلم الّذي يؤدي إلى المدخل المقنطر. كان الخادم يلبس قفازين والابتسامة على محياه. سمعت كالي صندوق السيارة ينفتح.

ومن دون أن ينتظر الخادم الأمر لإخراج الحقائب، اتجه بخطوات ثابتة إلى صندوق السيارة. اندفعت كالي خارج السيارة محاولة مدّ يد العون لحمل حقائبها. وانتابتها رغبة جامحة في النظر مجدداً إلى...

لكنها أدركت أن تلك الرغبة حمقاء، فقاومتها عبر الخروج من السيارة المكشوفة.

ما إن أغلقت السيارة، حتى ظهر رجل آخر. كان هذا الأخير طويلاً ونحيلاً، يرتدي بذلة داكنة اللون وربطة عنق خضراء بلون البحر، ويحمل حقيبة جلدية سوداء. شعرت كالي وكأنها تعرفه، وما إن التقت عيناهما حتى عرفته جيّداً. كان هو! عرفت من نظراته أين رأته من قبل وأخذت تلهث وهي توجه إصبع الاتهام نحوه: «لكنك قلت إنك لن تكون هنا!».

لم ترق لها نبرة الذعر التي ظهرت في صوتها. أرادت أن تبدو قويّة وأدركت أن إصبعها بقيت موجهة نحوه، فاعترفت بغباء تصرفها هذا. أنزلت إصبعها وجاهدت لتمنع شفتها السفلى من الارتجاف. شعرت أن تصرفها مع السيّد فاروس تصرف أحمق وحاولت استعادة رباطة جأشها، فأخذت نفساً عميقاً.

ـ سأغادر... سأغادر على الفور.

نزل الرجل الّذي سبق لها أن نبذته السلم. وشعرت كالي بأنها حقيرة. كيف تجرأت على رفع صوتها في وجه ذاك الرجل، بعد أن عرض عليها هذه الوظيفة الرائعة؟ أسرعت تلحق به وأمسكت بيده قائلة: «سيّد فاروس، لا بدّ أنك تظنني امرأة سليطة وناكرة للجميل!».

وتابعت تقول: «شكراً جزيلاً على هذه الفرصة الّتي منحتني إيّاها. سأبذل قصارى جهدي لأجعل من منزلك تحفة فنية. أنا متأثرة لوجودي هنا. أنت لطيف جداً، ولن أنسى لك ذلك أبداً».

قاطعهما پال قائلاً: «آنسة أنجليس، من فضلك دعي مساعدي يذهب. لديه برنامج عمل حافل».

أفلتت كالي يد الرجل، وفتحت فمها لتسأل پال عمّا يقوله. لكن هذا الأخير التفت إلى الرجل الشاحب وقال له: «شارلز، لقد تركت عقود الماغناسون على مكتبي. أرسلها لأصحابها بعد الظهر».

ـ نعم سيدي.

واستدار الرجل فألقى نظرة خاطفة على كالي ومن ثم على پال فكالي. أمسك پال بمفاتيح السيارة ليعطيها لشارلز، لكن كالي قبضت على يد شارلز بكلّ قوتها، فنظر إليها پال بغضب، قائلاً:

ـ لا تعيقي دورته الدموية آنسة أنجليس. شارلز بحاجة إلى أصابعه، فهو يطبع مئة كلمة في الدقيقة.

ونزع پال نظاراته الشمسية ليكشف عن عينين رماديتين بلون الدخان. خطفت تانك العينان أنفاسها وسمّرتاها في مكانها. أما هو فالتفت نحو كبير الخدم قائلاً: «خذ حقائب الآنسة أنجليس إلى الداخل، بلكين! فهي منزعجة لوقوفها هنا».

خرجت كلماته من بين شفتين شعرت كالي أنهما مفعمتان بالأحاسيس، أجمل شفتين رأتهما في حياتها. وكانت ردة فعلها على ما يجري الصمت.

ـ لكن ما... ما الذي يجري؟ أليس...؟ ألست...؟

ـ لا سيّدتي، أنا شارلز إيرالي. لقد سرني لقاؤك.

ـ لكن، لكن...

وأخذت تحدق بپال مذهولة. بدت لها الحقيقة أبعد ما يمكن عن الحقيقة: «لكن، لا يمكن أن تكون...».

أحنى پال رأسه وكأنه يقدم نفسه في حفل رسمي: «نيكولاس ڤاروس في خدمتك».

وبقي يبتسم ابتسامة عريضة وهو يدس مفاتيح السيارة في جيب معطف شارلز، وقال: «إنه لمن دواعي سروري أن التقي بك أخيراً».

شعرت كالي بغطرسته وسخريته اللاذعة. لقد تلاعب بها، وأعجبه ذلك. ما دام نيكولاس ڤاروس هو پال، فلا شك أن حياتهما الزوجية كانت ستغدو أشبه بالوقوف على سلك كهربائي قاتل.

قطع عليها تأملاتها حين أمسك بيدها وقال: «اسمحي لي أن أقودك إلى غرفتك!».

حاولت إفلات يدها من يده، وهي تتلمس ما حولها بعد أن أفقدتها المفاجأة توازنها.

ـ لقد قطعت لي وعداً بألاّ تكون هنا!

توقف نيكولاس وقال مصححاً: «في الواقع، شارلز هو من قطع لك هذا الوعد».

وتابع يقول: «ما دمت تتكلمين عن الوعود والوفاء بالوعود، لقد قطعت وعداً بأن تتزوجيني، فلماذا ما زلت الآنسة أنجليس؟».

انتاب كالي دوار لسماعها تعليقه الفظ ولم تستطع التقاط أنفاسها. لا، لن ينجح ذلك، لا تستطيع البقاء هنا! فتوقفت وقالت بصوت منخفض: «هذا مستحيل يا سيّد ڤاروس».

لعل فؤاد خطيبها السابق لم يتحطم من جراء رفضها له، لكنه بدا متعطشاً للثأر منها.

ـ لن... لا أستطيع البقاء هنا، نظراً إلى الظروف.

تغضنت ملامح نيكولاس، من ثم علاها الغموض: «القرار قرارك بالطبع!».

وتابع متشدّقاً: «إن معظم الذين يعملون في مجالك يفضلون الجحيم على الأرض للحصول على فرصة مماثلة! انظري إليه من جديد آنسة أنجليس وقولي لي، ألست على حق؟».

لم تكن بحاجة إلى النظر إليه. كانت تعرف أنّه على حقّ، إذ لم تر في حياتها منزلاً بهذه الروعة. شعرت بحجم الخسارة الكبيرة التي ستمنّى بها إذا ما تراجعت عن القبول بهذا العرض. فهزت رأسها وتمنت لو أنها في مكان

آخر، لكن عليها أن تتلقى جزاء ما فعلته.

ـ ما دمت تكرهني، فلماذا عرضت عليّ وظيفة رائعة؟

ـ الأمر بسيط آنسة أنجليس...

كان وقع كلماته أشبه بوقع سكين حاد دسّ بين ضلوعها.

ـ لأنني أفي بوعودي.

* * *

٣ ـ جهنم على الأرض

لم يكتف نيكولاس بالسخرية اللاذعة التي وجهها إلى خطيبته السابقة، بل بقي يتأمل ذهولها، وهو غير راضٍ عمّا آل إليه الأمر.

فتحت كالي فمها ولكن قبل أن تنبس بكلمة، أمسك بمرفقها وحثها على التوجه نحو البهو.

ـ لكن، سيّد ڤاروس. على فكرة...

قاطعها مصراً على متابعة مشروعه في تلقين خطيبته المتقلبة المزاج، درساً عن النكث بالوعود.

ـ أشكرك على الاعتذارات التي وجهتها إليّ.

وأجفل حين نزعت يدها بقوة من يده، واستدارت لتواجهه.

ـ هل ستبقى هنا طوال الوقت؟

كانت عيناها تقدحان شرراً، وعدائية. ومع أن وجهها كان جميلاً، إلاّ أن نيكولاس بدأ يعتاد على التصميم الحديدي على ملامحها. أما شعرها الأسود المتموج فبدا براقاً يخلق هالة سوداء قاتمة حول وجهها المتورّد.

بدت مخبولة بعض الشيء، ولكن ردة فعله الغاضبة جعلته يبدو أكثر عدائية. لم تعجبه تلك المرأة. لعلها جذّابة، إلا أنّها متقلبة ولا يمكن أن تكون محط ثقة فيما يخص الالتزام بالوعود المهمّة. وقد سبب له هذا العيب فيها الإحراج الشديد، فالجميع يسخر منه في المدينة منذ ذاك الوقت، ويشيرون

www.elromancia.com

إليه على أنه العريس الّذي تركته عروسه عند المذبح.

سألته: «حسناً. هل تنوي البقاء هنا؟».

دسّ نيكولاس يديه في جيبيه، بعدم اكتراث وأجاب: «ألا تذكرين؟ أنا في عطلة».

ـ ألا تملك مكاناً آخر تقيم فيه، في المدينة؟

جاء صوتها حاداً، عالي النبرة. بدأ التوتر يظهر عليها من جراء كل هذه الأحداث مما جعل نيكولاس يشعر بالسرور الحاقد.

ـ يحتاج مكان إقامتي في المدينة إلى التصليح. سأبقى هنا مدّة.

ـ مدّة؟

ـ ثلاثة أسابيع.

كاد يضحك لتعابير الرعب التي ظهرت على وجهها.

ـ لكن، لكن هذه مدّة طويلة...

وانقطع صوتها قبل أن تكمل كلامها. كان كلاهما يعلم أنّها ستضطر للبقاء هنا مدة ثلاثة أسابيع. نظر إليها وهي تتنحنح محاولة أن تتكلم بصوت قوي، لا يعكس طبيعة ما تشعر به.

قالت أخيراً بصوت خافت: «لقد كذبت عليّ!».

فأجابها متصنعاً أكثر التعابير براءة: «حقاً؟».

ـ نعم! حين قلت إنك لن تكون هنا. لقد كذبت!

ـ شارلز هو من قال لك إنه لن يكون هنا؟

ـ لكنّه... لكنّك... جعلتماني أعتقد أن...

ـ ما تعتقدينه ليس غلطتي آنسة أنجليس.

نظرت إليه بدهشة واتسعت عيناها إذ راودتها فكرة بغيضة.

ـ وهل تعتقد أنك بحاجة لمراقبتي؟ ألهذا السبب تبقى هنا؟ ألا تثق بقدرتي على القيام بهذا العمل؟

لم يكن هذا السبب الحقيقي، لكنه استحسن الفكرة.

ـ ولمَ لا أقوم بذلك، ما دمت قد نكثت بوعدك من قبل؟

فتحت فمها، لكنها لم تستطع التفوه بكلمة. كما أن نيكولاس لم يتح لها الفرصة إذ بادرها قائلاً: «في الواقع، هذا المنزل رائع، فلِمَ لا أبقى فيه؟ كنت أنوي قضاء شهر العسل فيه».

سمع أنينها الخافت، فعرف أنه جرحها.

ـ هذا... هذا سيء!

حاولت المحافظة على رباطة جأشها، وتفادي دوار ألم بها.

ـ لا يمكنني تحمّل إهاناتك ثلاثة أسابيع.

سمعت كبير الخدم ينزل، فبادرته حين غدا على مقربة منها: «أرجوك، أنزل الحقائب من جديد. سأغادر في الحال».

ـ أنت تتهربين مجدداً.

ـ أتهرّب؟؟ كيف تجرؤ على قول ذلك! لا، أنا لا أتهرّب! كل ما في الأمر هو أنني لن أسمح لك بأن تجعلني موضع سخريتك. وإذا كنت تعتقد أنني سأبقى، فأنت مخبول.

ـ لا، لم أعتقد ذلك.

كان يكذب، فهو يعرف جيداً ما قد فعله. بقي يحدّق فيها وهي تتهدد وتتوعد، ربّما استطاعت أن تتهرب منه ومن الزواج به، لكنها لم تكن قد التقته حين تراجعت عن الزواج به، وهذا ما حملها على القيام بذلك. أما في ما يخص عملها، فالأمر مختلف تماماً. وهي ما كانت لتتهرب من أداء عملها، فهي متحمسة جداً له. ويدرك نيكولاس ذلك جيداً بعد التحريات التي قام بها.

تمتمت تقول: «لا شيء، لا هذا المنزل ولا أيّ منزل... من الأفضل أن تعرضه للبيع...».

وقبل أن تكمل كلامها، أجفلت. وتحوّل تعبير وجهها الحزين إلى اشمئزاز شديد، حين لاحظت الضرر الكبير الّذي لحق بالمنزل وأصوله الفيكتوريّة الباعثة على الفخر.

فقد طليت أرضه الخشبية باللونين الأخضر والأصفر فبدت كرقعة الداما.

www.elromancia.com

أما ورق الجدران فكان منقطاً، فيما تتدلى من السقف كرات بلاستيكية صفراء، لتنير المكان. ولاحظت خلفها طاولة غير متناسقة.

غطّت كالي فمها بكلتي يديها حين استدارت. وتأملها نيكولاس وهي تلقي نظرة عجلى إلى حائط جانبي. رأت طاولة مستديرة مصنوعة من الخشب تتوسط بابين، يعلوها مصباح كهربائي مروّع يشبه لمبة كهربائية كبيرة. عضت كالي على شفتها حين استدارت لترى جداراً آخر علّقت عليه ساعة مستطيلة، صفراء اللون بحجم صينية.

لم تكن العقارب تتوسط تلك الساعة، وعقرب الثواني الأحمر يتدلى. شعر نيكولاس أن حركة ذاك العقرب تدوّي في رأسها. ولاحظ تعابير وجهها المضطربة.

كانت تعابير وجهها تشير بوضوح إلى أنها تشعر بدوار رهيب ورغبة قوية في إنقاذ المكان من التشوّه الكبير الّذي لحق به.

قال لها بطريقة ساخرة: «جميل، أليس كذلك؟ يروق لي خاصة لون ورق الجدران الرصاصي».

أجابته بتذمّر: «آه يا عزيزي! إنه رهيب».

ـ لكن هل هو رهيب بما يكفي لتتحمّلي الأسر في جهنم على الأرض؟

أدارت ظهرها له حانيةً كتفيها قليلاً. شعر باضطرابها فمنحها وقتاً قصيراً لتعي أن خلف هذا الديكور المريع، تحفة فنية تطلب النجدة ليحرّرها أحدهم. كاد يسمع ما تفكر فيه: «عليّ أن أنقذ هذا المنزل، عليّ أن أنقذه».

وزم شفتيه ليخفي تكشيرة لاذعة.

وقع أقدام كبير الخدم جعل نيكولاس ينظر مجدداً إلى السلم. كان الرجل في بذلته الرسمية، ينزل السلم حاملاً حقيبة سفر وحقيبة يد.

نظر نيكولاس إلى خطيبته السابقة الّتي بدت قلقة. كانت قد سمعت هي أيضاً وقع أقدام كبير الخدم والتفتت إليه. بقي نيكولاس ينتظر صامتاً فمن الأفضل ألاّ تتذكر الآن وجوده غير المحبب، لتسير الأمور كما خطّط لها. عليها أن تفكر بالمنزل وبالمنزل فحسب.

ـ آه، أعتقد...

أخذ نيكولاس يراقبها وهي تستقيم في وقفتها.

ـ في الواقع، أنا آسفة.

والتفتت إلى السلم متوجهة بالكلام إلى رئيس الخدم.

ـ أعتقد أنني سأبقى هنا.

وأسرعت تصعد السلم وأمسكت بالحقائب، ثم قالت: «هلاّ أرشدتني إلى غرفتي».

نظر كبير الخدم إلى مديره مستغرباً، فأومأ نيكولاس برأسه، وهو يشعر بالرضا، وارتسمت ابتسامة عريضة على وجهه.

أفرغت كالي محتويات حقائبها، وذرعت الغرفة جيئة وذهاباً بين حقيبتها وخزانة الأليسة الصفراء، ذات السقف الالمينيوم والأدراج الخيزرانية. وفيما كانت تعمل، أخذت تحدث نفسها: «ثلاثة أسابيع؟ قبلت أن تسكني مع رجل يبدو جلياً أنه يكرهك، لثلاثة أسابيع وتحت سقف واحد؟ لمَ لا تستعملين دماغك كالي لتمنعي جمجمتك من الانفجار؟».

بعد تعنيف بينها وبين المنطق والعقل، وضعت حداً لشجار كان على وشك أن يولد. لكنه كان على حق حين قال إن ثلاثة أسابيع في جحيم على الأرض، يمكن تحملها لقاء فرصة تحويل هذا الميراث الفيكتوري، إلى تحفة فنيّة يتكلم عنها التاريخ.

لكن لا تنسي يا كالي! هذا الرجل يكرهك، وينوي أن يحوّل حياتك إلى حياة بائسة. هل أنت جاهزة لذلك؟

لا أعلم، لا أعلم! دعوني وشأني!

ألقت بنفسها على السرير وغمغمت تقول: «أعرف أنه يكرهني ويريد أن يعذبني لأنني عدلت عن رأيي ليلة الزفاف. لكن...».

أخذت تتأمل غرفتها بسقفها الّذي كان يرتفع أربع عشرة قدماً. كانت هذه الغرفة جميلة في ما مضى. فما زالت نوافذها تحمل الألواح الزجاجية السميكة نفسها، كما رأت الألواح الخشبية التي كانت تغطي الأرضية، داخل خزانة

الألبسة. أما الأرضية فمغطاة حالياً ببساط أخضر عليه رسوم غير متناسقة. ويحيط بالجدران الداخلية خشب من الطراز الفيكتوري. وهي مزخرفة بطريقة جميلة، لكن الطلاء الرمادي الضارب إلى الخضرة الذي طليت به الجدران، يخفي روعتها وجمالها.

تعرف كالي أن الخمسينات كانت سنوات استكشاف الفضاء. وقد شغفت أميركا بذلك حتى انعكس ذلك في فن العمارة وفي الهندسة الداخلية، فطغت الأشكال الهندسية والألوان الجريئة على الأبنية. ولكن بدل أن يخرج ذلك عملاً أنيقاً ومرضياً، أخرج عملاً غريباً، مثيراً للأعصاب.

هل ستستطيع إيقاظ الجميلة النائمة من سباتها وتنفض عنها غباراً ذرته عليها يد مجرم؟ هل يستحق الأمر أن تبقى ثلاثة أسابيع تحت سقف واحد، مع رجل يكرهها؟ أخذت نفساً عميقاً، وأشاحت بنظرها نحو حجرة النوم. غمرها الشغف حين تخيلت ما قد يصبح عليه هذا المنزل. سوف تقترف إثماً إذا ما فرّت من هنا، فالمنزل بحاجة إليها. من المؤكد أنّها ستندم، على المستويين العاطفي والعملي، إذا ما تركته.

ـ نعم...

أخذت نفساً عميقاً وشعرت بدفق من الشجاعة.

ـ نعم! إنه يستحق كل ما قد يخضعني له السيّد ڤاروس من متاعب!

اتجهت إلى غرفة الملابس وتابعت تقول لنفسها: «إذا كنت تنوي إهانتي يا سيّد ڤاروس، فقم بما في وسعك. هيّا راقبني كالصقر، لكنك لن تجد عملي غير كفؤ. ولن أهرب!».

ثم ألقت برأسها على السرير وقالت: «لأن كالي أنجليس أقوى ممّا تتصوّر. سوف أحوّل هذه الحشيشة المرّة إلى وردة أميركية رائعة الجمال، مهما ضايقتني وأهنتني!».

***

لم تشأ كالي تضييع أي دقيقة تحت سقف نيكولاس ڤاروس. لذا، بدأت

بعد ظهر ذاك اليوم تتنقل بين الغرف الجميلة، لتصوّر لقطات فوتوغرافية وتكتب ملاحظات كثيرة. ومع كل لقاء غير متوقع بالسيد ڤاروس، كانت تبدو مرتبكة ومنزعجة. لقد بدا جلياً أن السيد ڤاروس اشترى المنزل مع الأثاث الموجود فيه. إذ لم تستطع أن تتخيّل أن يكون السيّد ڤاروس قد اشتراه وفرشه، ومن ثم أوكل مهمة قلبه رأساً على عقب، إلى شخص آخر.

ومع أنّها بذلت أقصى طاقتها في التركيز، إلاّ أنّها كانت تشعر بوجوده كلما اقترب منها. ووجوده المؤقت في ممر مجاور كان كفيلاً بأن يقطع عليها حبل أفكارها.

وكلما سمعت وقع أقدامه أو داعبت أنفها رائحة عطر ما بعد الحلاقة الّذي يضعه، فقدت تركيزها، فتبدو لها التفاصيل الهندسية عسيرة الوصف. ما المشكلة؟ لمَ لا تستطيع التركيز حين يمر بقربها؟ أهو القلق؟ هل تتوقع أن يظهر فجأة أمامها ويصرخ ليفاجئها؟

جاهدت لتفكر في الملاحظات التي دوّنتها وتبعد أفكارها عن أي موضوع آخر. وفيما كانت تنتقل من غرفة إلى غرفة قشرت ورق جدران إحدى الغرف، لتجد تحته بقايا باهتة للوحة خشبية ساحرة، مصنوعة يدوياً. فرحت كثيراً باكتشافها ودونت ملاحظاتها على دفترها.

انقضى بعد الظهر بسلام. في الواقع، لم يوجّه نيكولاس أيّ كلمة إليها، حتى أنه لم ينضم إليها عند العشاء، فأكلت وحدها في غرفة تصلح لركن باص كبير. أخذت تتذوق العشاء اللذيذ، والغريب، لكنها لم تكترث لطعم العشاء بقدرما اكترثت للغرفة الّتي جلست تأكل فيها. كانت الجدران مزينة بألواح حتى حدود السقف المزخرف. وبدا جلياً أنها كانت مطلية في السابق باللون الجوري، لكنها الآن مطلية بالبرتقالي المقرف.

بدت العشرون كرسياً، المنجدة بالفينيل البرتقالي، ذات الأرجل الحديدية النحيفة وكأنها أقزام جائعة. قهقهت ساخرة وغمغمت: «كالي، لم تعودي في كنساس. أنت في أوز الآن؟».

ألقت نظرة عجلى نحو الأعلى، فرأت ثريات الكريستال المتلألئة بين السقف المزين والطاولة تضيء المكان. كانت الأضواء تنتشر في الزاويا هنا وهناك فتنير المكان بشكل عشوائي. ارتعشت كالي من جراء قسوة الجو وبرودة الديكور في الغرفة وغمغمت تقول: «إذا أردت رأيي يا سيّد ڤاروس، فأنا أرى أن هذا الديكور يناسبك تماماً».

ـ شكراً!

أطلقت صرخة طويلة وحادة وأخذت ترتجف. ووضعت يديها على صدرها وهي تلتفت نحو مصدر الصوت.

ـ ماذا تحاول أن تفعل، أن تسبّب لي ذبحة قلبية؟

سار متمهلاً نحو المدخل وهو لا يزال يرتدي سروال الجينز. بدا كرجل يجيد كل الأعمال، وقد وصل ليصلح عطلاً في الطاولة بدلاً من أن يجلس إليها.

ـ هل تستمتعين بأكل السرطان؟

نظرت إليه بسخرية وقالت: «ولم تسأل؟ هل هو مسمّم؟».

ابتسم ابتسامة عريضة وجلس في المقعد قبالتها.

ـ كيف وصلنا إلى هذه البداية التعسة، آنسة أنجليس؟

وضعت ساعديها على الطاولة ونظرت إليه، ثم قالت: «ربّما لأنك تكرهني، وتواجه صعوبة في إخفاء ذلك؟».

جلس أمامها، محاولاً تقليد وضعها المحارب وموقفها العدائي، لكن الابتسامة العريضة بقيت تلوي شفتيه.

ـ لا أحاول أن أخفي ذلك، آنسة أنجليس.

تسمّرت في مكانها وحاولت ألاّ تظهر أيّ رد فعل على ما قاله. لكن مهما حاولت، كانت تعلم أنّها لن تفلت من قبضة نيكولاس ڤاروس، لا سيّما أنه يشن حربه ببراعة ويبقى باسماً. رأت الغدر في عينيه الرماديتين، فسرت رعشة في جسدها حين تذكرت أن الغرفة التي يجلسان فيها، باردة ومخيفة. كم كانت ساذجة منذ قليل. بدت لها الغرفة ملائمة جداً ليشن حربه عليها.

وأخذت تنظر إليه وهو يراقبها بصمت عبر الطاولة.

قال كاسراً جبل الصمت والاضطراب اللذين أخذا يلفان المكان: «حسناً، أنت ترين أن الديكور يناسبني، لكن، ما هو انطباعك الأول عن منزلي؟».

كانت شبه الابتسامة الساخرة التي لوت شفتيه، تعبّر بوضوح عن احتقاره لها، لكنها حصرت الحديث في إطار عملها، فيما انصرف هو إلى طرح أسئلة تجارية ـ أقله في الظاهر. شعرت بضعفها لكنها قررت أن تترفع عن ذلك، وتتظاهر بالقوة. وضعت يديها في حضنها وتنحنحت.

ـ في الواقع...

قالت ذلك ثم تنحنحت لتطرد رعشة الاضطراب من صوتها، ثم أكملت: «في الواقع يا سيّد ڤاروس، أنا لا أملك...».

قاطعها قائلاً: «نيكولاس».

أجفلت لما قاله، فسألته: «ماذا؟».

ـ قلت نيكولاس.

واستدار ليومىء إلى أحدهم. التفتت، فرأت خادماً يدنو منه حاملاً طبقاً من الطعام الساخن، فشعرت بالاضطراب. هل سينضم السيد ڤاروس إليها على العشاء؟ وفي غمرة تساؤلاتها، دنا خادم آخر حاملاً صينية تعلوها أطباق عدة. والتفت مضيفها إليها مجدداً ثم قال: «ناديني نيكولاس! أنا أصرّ على ذلك، آنسة أنجليس».

كانت تناديه بالسيد ڤاروس لتذكره دائماً بأن ما يربطهما هو علاقة عمل بحتة.

كانت تدعوه نيكولاس حين تتخيل نفسها زوجته. تصوّرت أنها ستقول: «أود أن أعرفكم بنيكولاس زوجي أو «نيكولاس»، حبيبي، شكراً على الورود، أو نيكولاس، عزيزي، هلاّ ناولتني الكريما!».

كم يبدو لها هذا سخيفاً صبيانياً الآن بعد أن التقت هذا الرجل. لم يبد لها ذاك الشخص المرح الّذي وصفه لها جدها، بل رأت فيه شخصاً متوحشاً

www.elromancia.com

متكلفاً ومحباً للانتقام.

إذا دعته نيكولاس فستبدو علاقتهما حميمة، خلافاً لما هي عليه الآن. لم تود التفكير بذلك، لكن ذكر اسمه جعل قشعريرة ذنب تسري في عروقها.

لعلها هي من جعلته إنساناً متوحشاً، محباً للانتقام. ربّما هو ودود ولطيف مع من لا ينبذه ليلة الزفاف. شعرت بغصّة في حلقها، لكن الأوان فات، ولا يمكن فعل شيء الآن. لقد هزمته ولا يمكنها التراجع عن ذلك. كان تصرفها أحمق وربّما أثر في ذلك حزنها الكبير على جدها كريس.

شعرت بالارتباك والغضب، منه ومن نفسها لقبولهما بزواج رتبه لهما جدّاهما. لا! لن تستطيع أبداً أن تناديه نيكولاس، ولا حتى بعد مليون سنة. واستحضرت هذه الفكرة في ذهنها مشاعر وأحاسيس، ملؤها الشعور بالذنب والذكريات المؤلمة. لا، لن تناديه نيكولاس.

حين غدا العشاء جاهزاً أمامه، تناول شوكة الطعام ونظر إليها.

ـ وماذا تودّين أن أناديك؟

شعرت بالاضطراب فقالت: «في الواقع ما من ضير في العودة إلى أسلوب الخمسينات في التزيين».

لم تعرف كيف انتقلت إلى هذا الموضوع. لكنّها علمت أنها بذلك وجدت السبيل المناسب لتأجيل الرد على ما قاله، ليفهم أنها ترفض دعوته نيكولاس، وأنها تفضل أن تبقى علاقتهما علاقة عمل.

ـ لقد رأيت العديد من المنازل المزينة بهذا الأسلوب. لكن لا يمكن المزج بين النزعة العصرية وبين الأسلوب الفيكتوري. لذا...

حاولت جاهدة أن تصيغ كلامها على النحو المناسب وتلمست في الوقت نفسه طريقة مهذبة لنبذه... مجدداً.

ـ حين قلت إن الديكور يناسبك، لم أكن أعني بالضرورة أن...

ـ بل عنيت ذلك، آنسة أنجليس.

قاطعها ثم أخذ يسكب لنفسه فنجان قهوة ورفع حاجبيه متعجباً ثم سألها: «هل تودّين المزيد من القهوة؟».

هزت رأسها ووجنتاها ملتهبتان من جراء الشعور بالإحراج الّذي تملكها. إنّه على حق، كانت تقصد بكلماتها إهانته. لكنها حين قالتها لم تكن تعرف أنه قد يسمعها. من جهة أخرى، وجدت تسلله إلى الغرفة خلسة، أمراً غير مقبول. لمَ صدف أنّه عندما لم تنتبه لوجوده، تلفظت بهذا الكلام؟

ـ لم لا أدعوك كالي؟ لا حاجة بنا أن نتصرف بشكل رسمي!

غرفت شوكة مليئة بالطعام ورفعتها إلى فمها. وأخذت تفكر بخطة أخرى للتملص من الرد، لكن لم يكن أمامها الكثير من الوقت. ماذا لو أحرقت الستائر؟ إنها أفضل طريقة لإرجاء ردّها. عندها، ستحل مشكلة دعوتها بكالي أو آنسة أنجليس، إذ سينتهي بها الأمر في الزنزانة بتهمة الإحراق عمداً، فلا يعود بحاجة لمناداتها.

تابع كلامه متجاهلاً صمتها: «في الواقع لو كنّا متزوجين، لناديتك كالي».

شعرت بوخز مفاجىء في أعصابها، وشعرت بأن الكيل طفح! أجفلت ورمت شوكتها بعنف في الطبق وقد أثار تحرشه بها، غضبها.

ـ سيّد ڤاروس، أعلم أنك مستاء مني، وأنت تملك كل الحق في ذلك. ما كان يجدر بي الإخلال بوعدي بتلك الطريقة. تصرف كما تشاء واغضب كما تشاء. أنا أعتذر واعتذاري نابع من كل ذرة في جسدي. لكني لا أستطيع فعل شيء للتعويض عن ذلك الآن، وكلانا يعلم ذلك!

وضعت كفيها على الطاولة الباردة. كادت الدموع تسيل من عينيها، لكنها جاهدت لتمنعها، وليبقى صوتها هادئاً.

ـ سيّد ڤاروس، نظراً لما تكنّه لي من مشاعر بغض، أعتقد أننا لسنا صديقين. كلانا يعرف أنك لا تستظرفني ولا تثق بي. لذا، ضايقني وأزعجني كما تشاء، ولكن لا تتوقع مني أن أناديك نيكولاس!

وتهيأت للوقوف فيما تابعت تقول: «أمّا في ما يتعلق بما قد تدعونني به، فأفضل أن تدعوني آنسة أنجليس».

وراح ينظر إليه ممّا جعلها تشعر بالإحراج، فقالت: «المعذرة، أنوي

الذهاب إلى غرفتي والنوم لأبدأ عملي في الصباح الباكر. سوف أنجز هذا العمل بأسرع وقت ممكن وعلى أكمل وجه. وكلما اقترب موعد افتراقنا سيّد ڤاروس، كلما شعر كلانا بالراحة؟».

بقي يتأملها من دون أن يتفوّه بأي كلمة. واقتصرت ردة فعله على انكماش شفتيه. وحين أنهت كلامها، قال لها بهدوء: «لقد أوضحت الأمور».

هبطت فجأة نسبة الأدرينالين في دمها وشعرت بألم في معدتها ووهن في ساقيها. ماذا فعلت للتو؟ هل بدت أي من الكلمات الثائرة التي تفوهت بها هادئة أو ضمن نطاق العمل؟ هل هذه طريقتها لتقديم تعويض؟ ماذا أصابها؟ لم تصرخ يوماً في وجه أحدهم، وخاصة حين تعتذر. لمَ يدفعها هذا الرجل إلى شفير الجنون؟ الآن وقد قدمت هذا الاعتذار الفظ، ماذا سيحل بعملها؟ إن تجديد هذا المنزل هو فرصة عمرها، لكنها ضربت بتهورها هذه الفرصة عرض الحائط.

جاهدت لتقاوم رغبتها بالبكاء، وشدت كتفيها، آملة أن يخفي تظاهرها بالشجاعة، حزنها الكبير.

ـ إذاً، أنا مفصولة، أليس كذلك؟

وأخذت تحدّث نفسها: «هذا أفضل. ربّما سأفقد فرصة العمر، لكنني سأتخلص من غطرسة نيكولاس ڤاروس».

كان نيكولاس يضع يداً خلف مسند الكرسي الملاصق لكرسيه، فأشار بيده الأخرى إلى الباب. كانت هذه أتفه طريقة فصل شهدتها كالي.

ـ أحلام سعيدة آنسة أنجليس!

ترددت وشعرت بالارتباك: «إذاً، هل أنا مفصولة؟».

رمقها بنظرة ساخرة وقال: «وهل هذا ما يقوله عادة مستخدموك، حين يفصلونك؟».

ـ لم يسبق لي أن فصلني أحد؟

زم شفتيه وبقيت أسيرة نظراته إلى أن قال أخيراً: «حسناً، لمعلوماتك

(أحلام سعيدة) ليست دلالة فصل. لكنك تودّين، في قرارة نفسك، أن أفصلك، أليس كذلك آنسة أنجليس؟».

كانت مرتبكة ومضطربة إلى حد لم تعد تعرف ما الّذي تريده. ولكن يجب أن تعترف أن حياتها ستكون أفضل إذا ما حصل ذلك.

بعد برهة من الصمت، تناول شوكته وقال لها: «اخلدي إلى النوم آنسة أنجليس. لا أنوي أن أسهل الأمور عليك».

ثم رمقها بنظرة اتهام وقال لها: «تذكري، يمكنك الانسحاب متى شئت. أنت بارعة في ذلك!».

* * *

www.elromancia.com

٤ ـ جريمة لا تغتفر

إذا كانت كالي ترغب بالهرب والعودة إلى منزلها في كانساس، فإن الإهانة التي وجهها إليها نيكولاس، أخمدت هذه الرغبة. إنه رجل دائم الشك. لذا، سوف تبقى وإن احترق كل ما حولها. كيف تجرأ على مناداتها بالانهزاميّة؟ لو أن أحداً غيرها لقي المعاملة نفسها، لاستاء، واعتبر محقاً إذا ما تخلى عن العمل وغادر.

ها هو الذنب خصمها القديم، يربت على كتفها مذكراً إياها بشكوك نيكولاس. شكوك ناتجة عن الخبرة من جراء الوعود التي قطعتها له. شعرت بطعنة موجعة في معدتها لكنها ذهبت وسرّحت شعرها، تحضراً لأول يوم كامل من العمل في المنزل.

نظرت إلى نفسها في المرآة التي تشبه النجمة وقالت: «حسناً، لديه الحق بأن يشك بي».

ثم رمت الفرشاة بعنف على طاولة الزينة، وهي تقول: «لكن لا يمكنه أن يتوقع مني أن أخاف من حقده».

ربطت شعرها بقوة، ربطة يصعب فكها. كانت تتصرف بسرعة وتشنج. ألقت نظرة على هيأتها في المرآة فتفاجأت لأن ما تلبسه ينطبق مع مزاجها. سروال أسود وبلوزة سوداء وحذاء أسود.

قالت تحدث نفسها: «كفى، حان وقت العمل!».

وقفت ونظرت إلى الساعة في يدها. إنها السادسة والنصف صباحاً، ولكنها خالتها أكثر بكثير، فلكثرة ما تقلبت في فراشها ليلاً شعرت وكأنه مضى

أسبوع على وجودها في ذاك البيت.

وبما أنّ كبير الخدم أعلمها أن فطورها سيكون جاهزاً عند السابعة، قررت أن تقوم بجولة سريعة في أرجاء المنزل. كانت كالي تحب أن تستيقظ باكراً في الصيف، لترى الشمس الساطعة تعلن عن بدء يوم منعش جديد.

ومع أنّ الشمس أشرقت، إلا أنها لم تكن محرقة بعد، بل كانت ترسل حرارة خفيفة في الجسم. لعل نزهة سريعة قبل الفطور تهدّىء من تشنج الأعصاب الذي تشعر به.

خرجت كالي من غرفتها متجهة نحو السلم. نزلت كل درجتين معاً إلى أن وصلت إلى باب المنزل ومنه إلى الرواق. لكن حين وصلت إليه لم تستطع رؤية شيء. بدا لها وكأن الدخان يلف المكان كله.

اعتقدت لثوانٍ أن المنزل يحترق لكنها لم تشتم أي رائحة. تنشقت الهواء وأدركت أنها لم تكن قادرة على الرؤية أبعد من إصبعها. قالت: «الضباب! إذاً هذا هو ضباب سان فرنسيسكو الشهير!».

أخذت ترتجف، إذ لم يكن الهواء رطباً فحسب، بل بارداً أيضاً. راحت تحدق في المنزل فلاحظت أنه أصبح رمادي اللون ويصعب تمييزه. اندفعت في الظلام الموحش والبارد، مضطربة وكئيبة. لم تتمكن من المشي في هذا الضباب الكثيف، فهي لم تكن تعرف المكان جيّداً، وأي خطوة خاطئة قد تسبب لها أذى كبير.

أخذت تفرك يديها من البرد.

ـ إنها صدمة كبيرة لمن يعشق أشعة الشمس.

شعرت بالاستياء والبرد فقد ساقها قدرها لتلتقي بآخر شخص في العالم تود أن تلقاه.

أجفلت وقالت: «آه، رجلي!».

ثم تعثرت وهي تتراجع خطوة إلى الخلف، ووقعت فانسحقت أصابع قدمها. نظرت إلى الأعلى، لترى خطيبها السابق على علوّ اثنتي عشرة قدماً، لكنه لم يبدُ سعيداً. هل هو من يجلس على الأرض ليدلك عظام قدمها

المسحوقة؟

ـ ماذا تنتعل في رجلك، حذاء حديدياً؟

بدا منزعجاً وكان هذا طبيعياً، وليس السبب كرهه لها، بل الشلل الّذي ألحقه بها، فتعجبت لانزعاجه كحالها.

ـ آسف آنسة أنجليس، لم أتوقع أن يدخل أحد إلى هنا بهذه السرعة الفائقة. دعيني أساعدك!

نظرت إلى يده والشكوك تساورها. وبعد أن خفق قلبها، أدركت أخيراً أنّها أخذت عرضه بعين الاعتبار. وقفت متجنبة لمسه، والنظر في عينيه أيضاً. ثم نظرت إلى ساعة يدها، فوجدت أنّها السابعة إلاّ ربعاً. ومع أن الوقت لا يزال مبكراً، إلاّ أنها رغبت في فنجان قهوة.

سألته من دون أن تنظر إليه: «هل سيقدم الفطور في غرفة الطعام؟».

ـ لا، بل في غرفة الشمس المحاذية للمطبخ.

لم تستطع إلاّ أن تسخر من كلامه: «غرفة الشمس؟ إذن أنت تخبئها هناك. أعتقد ذلك، بما أنّها ليست في الخارج».

نظرت إليه نظرة سريعة، فرأت أنه لم يبتسم. اعتقدت أن مزحتها مضحكة فلم تبالِ بعدم اكتراثه. ولمَ عليها أن تبالي في ما إذا كان يجدها مسلية أم لا؟

ـ إذاً، دلني من فضلك على الطريق، أم عليّ أن أتبع الوهج الذهبي؟

لم يبتسم أيضاً، بل دلها على الطريق بإيماءه منه.

سألته مترددة: «وهل ستتناول الفطور هناك أيضاً؟».

هذه المرة ابتسم قليلاً. بدا له واضحاً أنها لا تحبّذ وجوده معها على الفطور.

سألها: «تفضلين ألاّ أقوم بذلك؟».

تجهم وجهها وأجابت: «أنت تعرف ما الّذي أفضله».

قالت ذلك وهي تشعر برغبة جامحة في الصراخ في وجهه قائلةً: أفضل لو أنك في أوستراليا أو أفغانستان أو حتى في القطب الجنوبي.

ـ إذاً هل ستتناول الفطور؟

كانت مصممة على الحصول على جواب واضح حتّى ولو أمضت يومها في مناقشة مسألة الفطور، هذه.

ـ للأسف، إن تناول الطعام عادة عند المرء.

قال ذلك بصوت منخفض ومثير، ثم أشار إلى الطريق وأضاف:

ـ تفضلي آنسة أنجليس!

ودّت الإصرار على عدم تناول الطعام إذا كان سيتناوله معها، لكن تناول الطعام عادة يصعب الإقلاع عنها، بالنسبة إليها أيضاً. في الليلة الماضية، تركت غرفة الطعام قبل أن تكمل طبقها، فشعرت بالجوع. فضلاً عن ذلك، تعتقد أن السيد ڤاروس خطط لتكون أوقات الطعام جزءاً كبيراً من تعذيبها. لذا، عليها أن تعتاد على ذلك.

عليها أن تتعلم كيفية التعامل مع هذا الرجل وإلاّ ماتت من الجوع.

مع أن كبير الخدم أعلمها أن الفطور سيكون جاهزاً في تمام السابعة، تفاجأت حين رأت طاولة طعام من الفورمايكا والكروم محضرة لشخصين، عليها فواكه متنوعة.

جعلها نيكولاس تشعر بالارتباك حين مشى خلفها وأمسك لها بالكرسي لتجلس. وحين أرادت الجلوس أخذت تتلمس الكرسي، لأنها تخيّلت أنه سحبه من تحتها.

ـ ماذا تفعل؟

أجابها بطريقة ساخرة: «ألا يوجد أي جنتلمان في كانساس؟ ما أكثرهم هنا!».

عندما تأكدت من أن الكرسي تحتها، تلمسته ثم جلست عليه. هل يحاول أن يستفزّها؟ هكذا إذاً؟ مع أنه يحاول مساعدتها، إلا أن تصرفه بدا ماكراً وحقيراً!

انتقل إلى الجهة المقابلة من الطاولة وجلس على الكرسي. أرادت كالي تجنب النظر إلى وجهه، فأخذت تسرّح نظرها في الغرفة. لاحظت أن

www.elromancia.com

التفاصيل المعمارية لم تمسّ، فشكرت ربّها على ذلك. كانت معظم الأضرار التي لحقت بهذه الغرفة، تجميلية، يمكن إصلاحها بالعمل اليدوي الشاق والطلاء، وأوراق الجدران. وسمحت لها كثرة النوافذ برؤية الكثير من الضباب.

ـ غرفة شمس جميلة. لكن تنقصها الشمس!

كانت عنيدة صعبة المراس في طبعها، فتابعت تقول: «ظننت أنك تفي بوعودك».

كان يضع منديلاً على حضنه حين تكلمت، فالتفت نحوها.. فجأة شعرت بالخوف من عينيه الرماديتين الثاقبتين.

ـ تبدين عفوية هذا الصباح.

أخذ نفساً عميقاً ثم تابع يقول: «أرى أنك نمت جيّداً».

فأجابته وهي تتصنع ابتسامة: «مثل طفل».

ثم أخذت منديلاً وضعته على حضنها.

سمعت صوت الأطباق الفضية فنظرت إليه. كان يأكل ثمرة فراولة، ونظره مركّز عل جريدة مثنية إلى جانب الطبق. راح ينظر إلى العناوين الرئيسية، فبدا لها أنه خطط لتجاهل وجودها.

لكنها صممت على ألاّ تظهر انزعاجها من تصرفه، وتناولت ملعقتها. أكلت الفواكه بصمت، وأخذت تفكر بأشعة الشمس التي تسطع في أماكن من العالم، فكرت بكانساس وبالمزارعين الذين يقفون الآن في حقول الصويا والقمح، يمسحون العرق عن جباههم بمناديلهم الملونة.

لكن هنا، في منزل نيكولاس ڤاروس، لم يكن هناك أي شعاع شمس. كل الدفء الموجود اصطناعي توزّعه مدفأة كهربائية، أخذت تتأملها وهي تأكل. كان نيكولاس يجلس كأسد متراخٍ، وجفناه شبه المطبقين يجعلانه يبدو غريب الأطوار. فشعرت وكأنه قادر على السيطرة عليها حتى من دون أن ينظر إليها.

طردت تلك الفكرة من رأسها سريعاً. فكل ما كان يفعله هو قراءة الجريدة. ولكن على الرغم من ذلك، كانت تجد صعوبة في مجرد التركيز على الطعام، مع أنها تشعر بالجوع.

انتقلت نظراتها إلى الرجل الجالس قبالتها. كان يرتدي ثياباً غير رسمية، عبارة عن سروال جينز وقميص أكمامه مثنية حتى المرفقين. بدا لها كراعي بقر من كانساس، يعيد كل البعد عن عمله كخبير مالي.

كان شعره أشعث، ومظهره مغرياً. مغرياً؟ أخذت تفكر في ذلك. قد يصلح لدعاية...

بقيت تتأمله خلسة وهي تأكل. رأت أن الصورة التي كان جدّها يحملها له في محفظته، غير عادلة بحقه. فلقد تجاوز ذاك العمر وتحوّل إلى مثال رائع للرجولة.

مثال رائع للرجولة؟ ترددت هذه الكلمات في رأسها. كالي، يجدر ألا تحدّقي ببله في هذا الرجل، مثل مراهقة مفتونة! لا تشردي عن طريقك! إنه يكرهك وليس رائعاً إلاّ... حسناً من حيث المظهر. لكن تصرفاته هي أبعد ما يكون عن الروعة، لذا كفّي عن هذه السخافات.

أخذت تتساءل وهي تمضغ طعامها عما كانت لتفعله لو التقته قبل يوم الزفاف المشؤوم ذاك؟ كيف كانت ستتصرف؟ يمكنها أن تتصور تأثير سحره على أي امرأة! هزت كالي رأسها محاولة عدم التفكير بالنزوات. لا تود معرفة ذلك، وهو لا ينوي جذبها.

من المؤكد أنها غير نادمة الآن على تراجعها عن الزواج به. فحين ستتزوج، يوماً ما، ستتزوج بسبب حب أعمى، حب جنوني! ولأن زواج والديها التقليدي والمدبّر قد نجح، فلا يعني أنه فكرة جيّدة لكل الأزواج. صدف أن والدها رجل لطيف وحنون. ومع أنه توفي حين كانت في السابعة من العمر، إلاّ أنها تملك ذكريات جميلة عن ستيفان أنجليس. وقد كانت أمها محظوظة جداً. هذا كل ما في الأمر.

أخذت كالي تراقب نيكولاس وهو يقلب الصفحة، وتتأمل رموشه وهي

ترتفع وتنخفض عند قراءته الصحيفة. كم كانت جميلة، رفيعة سوداء. صرّت على أسنانها حين ساورتها بعض الأفكار. وإن كان وسيماً إلى حد بعيد؟ فإن شخصيته فذة! إنه متكبر وكريه ولا يشبه أباها أبداً، وقد كانت حكيمة في رفض عقد الزواج!

فجأة جاء كبير الخدم وتوقف أمام الطاولة، وقال: «لقد حضرت للفطور توست فرنسي بالكاراميل، وأومليت بالفطر والجبن، وسومون مدخن، مع الخبز والرقائق والقهوة والعصير».

أجفلت كالي متفاجئة بالقائمة الوافرة. ولم تعرف ما إذا كان عليها تناول كل ذلك أو انتقاء أطباق منها. نظرت إلى نيكولاس الّذي تابع قراءة جريدته قائلاً: «أودّ القهوة فقط!».

تنحنحت كالي. يجب ألاّ يذهب الطعام إلى النفايات.

ـ أنا، أوه...

ونظرت إلى كبير الخدم مترددة، فهي تحب كل ما ذكر في قائمة الطعام، لكنها لم تكن قادرة على تناول كل هذا.

ـ أشرب القهوة أيضاً... مع الكريما والأومليت وعصير البرتقال...

واستدار بيلكين حين توقفت عن الكلام، ظناً منه أنها أنهت كلامها.

ـ انتظر.

قالت ذلك وعضت على شفتها. لم تود أن تظهر ارتباكها، كما لم تكن الفرصة سانحة لتضيف أي شيء على ما طلبته.

سألها كبير الخدم ذو الشعر الأبيض بلطف: «نعم يا آنسة؟».

ـ و... أوه... زوج من هذا الكعك!

فأومأ وابتعد عن الطاولة. رأت كالي ابتسامة متكلفة تحفر غمازتين على وجنتي نيكولاس، فقالت له: «نعم، أنا جائعة! هل من خطب؟».

قال والغضب ما زال يلوي شفتيه: «لم أقل شيئاً آنسة أنجليس».

ـ كما تعلم، الفطور أهم وجبة في النهار.

ـ تكتفي النساء الأميركيات اللّواتي من عمرك بالقهوة وقطعة توست عند

الصباح.

قال ذلك وكأنه يقترح عليها تناول الطعام الخفيف عند الصباح. حسناً، إنه يفضّل قوام عارضات الأزياء! لكنها لا ترغب قط في أن تصبح عارضة أزياء، أو أن تشبه المرأة المثالية الّتي يتوق إليها السيّد فاروس.

ـ أعتقد أنّ عليك أن تشكرني للإخلال بوعد زواجنا. فالآن لم تعد مجبراً على قياس خصري!

هل قالت ذلك بصوتٍ عالٍ؟ أجفلت، وعضّت على لسانها. كالي، لماذا ذكرت هذا الموضوع مجدداً؟ هل أنت انتحاريّة؟

تناول كوبه، وعيناه مسمرتان عليها. حين أعاد الكوب إلى الطاولة، عاد ينظر إلى الصحيفة. لكنه بقي مكشراً وكأنه يسخر منها بهدوء.

***

كان نيكولاس يمعن النظر في الصحيفة من دون أن يتمكن من قراءة أي كلمة. حين اصطدم بخطيبته السابقة هذا الصباح، تعطلّ قسم من عقله وبقي كذلك حتى الآن. كانت أنعم مما توقع. بالأمس، أخفى الطقم الّذي لبسته الكثير من أنوثتها. أما اليوم، فقد تأكد حين رآها بالبنطال الجينز والبلوزة الخفيفة، أنها أمرأة بكل معنى الكلمة. امرأة قادرة على الزواج والإنجاب، بعيدة كل البعد عن نساء كاليفورنيا الحمقاوات.

وقد مدّ لها يد العون. لكن لم يكن ذلك يدخل ضمن مخططاته، هو الّذي أراد أن يجعل حياتها حياةً بائسة.

والآن، لمَ وجه إليها إطراء حين جاء على ذكر النساء اللواتي يعرفهن؟ جاءه هذا الدافع من العدم وكان يتناقض تماماً مع خططه. وقد استغرب حين اعتبرت إطراءه إهانةً، لكنه عاد وحمد الله على ذلك، معتبراً أن اعتقادها هذا أيقظه من سباته.

كان عليه أن يعود لتنفيذ ما خطّط له. عليه أن ينسى كل هذا ويركز على خطته للأخذ بالثأر. ولكنه أسف لذلك، بعد أنْ وجد في كالي امرأة بكل معنى الكلمة. تنحنح وهو يقلب الصفحة، محاولاً التركيز على الأخبار المالية.

اعتبر أن الصفات الأنثوية التي تحملها كالي لا تخصّه، فهي ليست زوجته، ولا خطيبته، فما هي إلاّ موظفة عنده، سبق لها أن نبذته.

لقد أعجب بالقائمة التي طلبتها عند الفطور، ولم يستطع إخفاء ذلك. ولحسن الحظ، اعتبرت إطراءه سخرية، فلم يسعَ لتوضيح ذلك.

تباً له! لا بل تباً لها ولثيابها الضيقة! لم يدخل ذلك في حساباته.

ـ حسناً، حسناً! أرى أنكما مجتمعان!

لم يكن نيكولاس بحاجة ليلتفت نحو مصدر الصوت، ليتعرف إلى صاحبه. فهو يعرف صوت جدّه جيداً. بقي يحدق بالجريدة. كان جده رجلاً مكتنزاً، أبيض الشعر، أنيق، يتمتع بروح الشباب. وقد ارتدى بذلة غامقة اللّون وربطة عنق رسمية وقميصاً أبيض. أما شارباه الطويلان والمفتولان فكانا يظهران التجاعيد الكثيرة التي غزت وجنتيه وانتشرت حول عينيه البنيتين اللتين غطاهما قليلاً حاجبان رماديان.

قال له نيكولاس وهو يبتسم ابتسامة عريضة: «جدّي، منذ متى تباركنا بحضورك على طاولة الفطور؟».

أجاب باليونانية: «منذ أن سمعت أن الوردة الصغيرة هنا في المنزل».

كان انتباهه مركزاً على كالي. ولاحظ نيكولاس أن وجنتيها غدتا ورديتين. أمسك الوافد الجديد بيدها وقبلها.

ـ كان يجدر بي أن أكون غاضباً منك يا ابنتي! لكن لن أسمح بأن يقال إن ديونيسور ڤاروس لا يعامل سيدة باحترام.

ثم أفلت يدها وتلاشت ابتسامته.

ـ أنا آسف لموت كريستوس.

وأخرج يديه من جيوب سرواله وشبكهما ثم تابع يقول: «إنها خسارة كبيرة، خسارة كبيرة!».

ـ شكراً سيّدي.

عضت كالي على شفتها وقد تملكها الاضطراب ثم قالت: «ألم تأتِ إلى الدفن؟».

أجابها ديونيسور: «في الواقع، كنت أرغب بتقديم تعازيّ لكن الظروف السيئة...».

توقف قليلاً وقد بدا التأثر على وجهه؛ ثم تابع قائلاً: «قررت ألاّ أقدم نفسي لك إلاّ بعد مرور وقت قصير. فقد سبب العار الّذي ألحقته بعائلتينا جرحاً لم يلتئم بعد».

وضع نيكولاس الصحيفة جانباً، واستقام في جلسته. سبب كلام ديونيسور الإحراج لكالي، على الرغم من اللهجة اللّطيفة والمهذبة التي كلّمها بها. لقد أوضح لها بطريقة لبقة أنها اقترفت جريمة لا تغتفر، جريمة لم تمسّ حفيده فحسب، بل مسّت شرف العائلة. كوّر نيكولاس شفتيه لرؤية الألم الّذي لاح في عينيها. عليه أن يعترف لجده بأنه أحسن فعلاً. فقد عرف جده كيف يحرجها بأسلوب لطيف!

رأى نيكولاس أن خطيبته السابقة قد تعذبت بما فيه الكفاية ذاك اليوم. من جهة أخرى، كانت كالي بحاجة للمحافظة على رباطة جأشها. ولكن إذا ما استمر ديون يكلمها بهذه الطريقة فسوف تنهار وتفر.

ـ جدّي، اجلس من فضلك!

أشار نيكولاس إلى كرسي قريب، ثم تابع يقول: «هل قلت «لكوك» ما الّذي تودّ تناوله؟».

بدا الاشمئزاز على وجه الرجل المسن وقال: «أكره الطعام الأميركي يا بال. لقد طلبت من كوك أن يحضر لي طبقاً من التين والتوست».

ـ نعم، أنا متأكد من أن كوك قادر على القيام بذلك. تفضل جدي. هل تشرب القهوة؟

فيما كان ديون يجلس، التفت نيكولاس نحو كالي وقال: «سيمكث جدّي هنا خلال هذه الفترة يا آنسة أنجليس».

ثم تناول صحيفته مجدداً، مصراً على إكمال خطته في تجاهلها.

ـ يمكنه أن يلعب دور الحكم.

قالت شيئاً لم يسمعه نيكولاس جيداً، فالتفت إليها قائلاً: «عفواً».

تابعت تناول طعامها وهي تقول: «لقد قلت إنه على الأقل غير متحيز!».

جاهد نيكولاس لئلا يبتسم وعاد إلى صحيفته، محاولاً أن يركز اهتمامه على تقلبات أسعار الأسهم في السوق.

كان وجود جدّ نيكولاس، مشكلة لم تتوقعها كالي. لم تخف ابتسامته الساحرة أو نبرة صوته اللطيفة الكره الذي يضمره لها ولما ألحقته بحفيده الحبيب. فبالنسبة إلى ديون ڤاروس، لقد جرحت حفيده نيكولاس، وأساءت لذكرى جدها كريس. فتراجعها عن الزواج هو أسوأ أنواع الخيانة لذكرى جدها الذي لطالما حلم بذاك اليوم. ومع أنه عاملها بلطف كبير، إلاّ أنها شعرت بالاضطراب لوجوده الذي لم تكن تتوقعه.

عملت كالي بأقصى جهدها طوال الوقت، محاولة تجنب اللقاء بنيكولاس أو بجده.

كان عليها اتخاذ ملايين القرارات. بعد التصوير والتوثيق والتسجيل، سوف يبدأ العمل الحقيقي. سوف تأخذ بعين الاعتبار كل تفصيل في المنزل: إضاءته الطبيعية، أهميته التاريخية... عليها القيام بالكثير من العمل، وسيستغرق هذا الكثير من الوقت. مع حلول المساء، كانت كالي قد بدأت بكشط أرض المنزل.

عندما أشارت الساعة إلى السابعة، شعرت كالي بالإرهاق ولم تعد تقوى على الكلام مع نيكولاس أو جدّه. ذكرت نفسها بأنه يجدر بها ألاّ تتهرب مجدداً عبر الطلب من كوك إحضار العشاء إلى غرفتها. فكرت في أن تطلب من كوك أن يحضر لها سندويشاً وكوب حليب، فتتناولهما سريعاً في المطبخ، وتصعد في ما بعد لتستحم وتندس في سريرها. من المؤكد أنها ستنام اليوم سريعاً، فهي تعبة جداً.

حضرت لها الطباخة، وهي امرأة وقور، سندويشاً شهياً من الروستو وجلست كالي على كرسي في المطبخ تتناول أول وجبة طعام لها بسلام، في ذلك المنزل. استرخت في الجوّ المنبعث من رائحة الطعام الشهي لأطباق العشاء. لأول مرة، كانت متأكدة من عدم وجود تينك العينين الرماديتين

تطاردانها.

ملأت رائحة الأطباق الشهية المكان بروائح زكية، لكن كالي وجدت أن السندويش كان كافياً. كانت بحاجة للاستحمام والنوم، أكثر من حاجتها لتناول هذه الأطباق الشهية. إلى جانب ذلك، إذا كان الرجلان يخططان لرميها بنظرات الاتهام المهذبة تلك، فلن تتمكن من الاستمتاع بالطعام.

بعد حمام جعل كالي تشعر بالاسترخاء، لبست عباءتها وخرجت إلى شرفة غرفتها. كان الضباب قد انحسر قليلاً عند الظهر، لكنّه عاد يلف المكان حوالى الرابعة. وكان الهواء منعشاً، فأخذت كالي نفساً عميقاً وهي تنظر إلى بركة السباحة تحتها، في الفناء.

أخذت تحدق فيها جيداً فلاحظت حركة، وسمعت صوت الماء. انحنت قليلاً تبحث على سطح الماء عن علامة حياة. كان القمر مغطىً بالضباب، لكنها استطاعت أن ترى أن أحدهم يسبح.

شدت العباءة عليها إذ شعرت بالبرد لفكرة أن أحدهم يسبح في مثل هذا الطقس. كان الطقس شديد البرودة، والشخص الذي يسبح، يذرع البركة جيئة وذهاباً.

أخذت كالي تمعن النظر فاكتشفت أنه رجل. بدا لها طويل القامة وقوي البنية. كان يسبح بنشاط ويقوم بحركات رياضية مثيرة. أخذت نفساً عميقاً ثم زفرته بشدة حين اكتشفت هوية ذاك الرجل. وما كان منها إلاّ أن ابتعدت عن الدرابزين، وشعرت بأن تصرفها غير لائق.

أخذت تحدث نفسها: «لا يفترض بك أن تتجسسي على هذا الرجل! ادخلي!».

وحين همت بالدخول، سمعت صوتاً آخر في داخلها يقول لها: «لمَ تهربين مثل لص في الليل؟ ما كنت تتجسّسين! إنه هو من في الخارج وتحت نافذتك، يسبح!».

أدارت ظهرها له، لكنها بقيت على الشرفة. وراحت تردد في سرّها: «عليك أن تدخلي! حقاً يجب أن تدخلي!».

وفيما خرجت هذه الكلمات من فمها، استدارت ومشت على رؤوس أصابعها حتى الحافة ثم ألقت نظرة خاطفة. تباً لنظرها الثاقب! لو لم يكن الضباب يغطي القمر، لرأته وكأنه في وضح النهار. ابتلعت ريقها بصعوبة لرؤية عضلاته المتلألئة تحت ضوء القمر الخفيف.

حين بلغ نهاية البركة، قام بحركة دائرية عائداً نحو الطرف الآخر، فعضت كالي على شفتها وبلغ نبضها أقصى سرعته.

قالت تحدث نفسها: «أنا متأكدة من أن عبارة إله يوناني أعطيت له في وضع كهذا».

وتمنت ألاّ يكون نيكولاس ڤاروس قد رآها، وشكرت الله على نعمة الضباب.

* * *

٥ ـ النجدة السوداء

تساءلت كالي إذا كان نيكولاس يعرف كم يضايقها بالسباحة كل ليلة. فمهما تأخرت في عملها أو في أخذ حمامها، كانت دائماً تضع مبذلها وتسير ببطء إلى شرفتها، لتلاحظ حركة في بركة السباحة كانت تعرف جيداً من يقوم بها وكيف.

لم تقصد كالي الشرفة لتنظر إليه، لا، ليس هذا ما دفعها للخروج. خرجت لتتأمل سكون الليل وتتنشق الهواء العليل وتراقب الضباب يلف المكان شيئاً فشيئاً. لسوء حظها، لم يغط الضباب المكان بالكامل، فبقيت ترى نيكولاس يندفع بسرعة البرق في الماء.

من جهة أخرى، كان نيكولاس يسعى إلى إزعاجها دائماً، صباحاً أو مساءً، في الليل أو في النهار، نائمة كانت أو مستيقظة. وفيما كان يتعمّد تجاهلها عند تناول الطعام، كان جده يتحدث إليها بتهذيب باستمرار. وراح ديون يلمح إلى «عار العائلة الموجع» مراراً وتكراراً في كل لقاء. وكانت ترتسم ابتسامة حقيقية على شفتيه كلّما أتى على ذكر ذلك، فيخيّل إلى من يراهما أنه يوجه لها إطراءً على طريقة تصفيف شعرها. ولو لم تكن كالي قادرة على سماع كلماته أو فهم اللّغتين اليونانية والإنكليزية، لظنت أن ديون مفتون بها.

لكن، وبما أنها تستطيع فهم هاتين اللّغتين وتتكلمهما بطلاقة، فقد

www.elromancia.com

فهمت جيّداً أنها تشكل مصدر إزعاج كبير للرجلين. كان كلّ واحد منهما يساهم في جعل حياتها أكثر بؤساً على طريقته، وبدأ هذا يؤثر في عملها. فقد راح تركيزها يخف وتفكيرها يتشتت. وساعد على حدوث ذلك فترات الراحة التي كانت تقضيها ليلاً على شرفتها، تتجسس... أو... تلاحظ بالصدفة وجود نيكولاس، يسبح في البركة.

إذا لم تحصل على فترة راحة، فليست واثقة من أنها ستقوى على الاستمرار، لكنها عادت ونبذت الفكرة، قالت تحدث نفسها، وهي تنزع مفتاحاً كهربائياً عن أحد جدران غرف نوم الطابق العلوي: «لا تفكري حتى في ذلك. لن تهربي! فهما لا يبرحانك ضرباً بالعصي. لا تكوني جبانة. لا تدعي ما يقومان به يؤثر فيك نفسياً!».

سمعت أحدهم يتنحنح خلفها، فشعرت أنه ليس كبير الخدم. تابعت نزع المفتاح الكهربائي بكل هدوء، ثم قالت بنبرة غيظ لم تشأ أن تظهر: «ماذا تريد؟».

ـ لم أكن أنوي مقاطعة حديثك مع المفتاح الكهربائي.

كان صوت نيكولاس يعلو شيئاً فشيئاً، فشعرت كالي أنه يقترب منها.

ـ وهل أجابك؟

بعد أن نزعت آخر مسمار منه، وقع المفتاح الكهربائي بين يدي كالي فتظاهرت بعدم المبالاة وأخذت تتفحص الإمدادات الكهربائية خلفه.

ـ لا، إن المفاتيح الكهربائية لا تجيب. إنها أكثر لباقة من بعض الرجال الذين أعرفهم هنا.

ـ وكم رجلاً تعرفين هنا؟

ـ إثنين.

قالت ذلك ثم استدارت وقد سيطرت على تعابير وجهها لتبدو عملية.

ـ أنت محظوظ يا سيّد ڤاروس. لقد تم مؤخراً تجديد الإمدادات الكهربائية في المنزل. سوف يوفّر هذا عليك بعض المصاريف.

لم تعرف لما قالت له ذلك، فهو يملك من المال أكثر مما تملك

كاليفورنيا من الليمون. لن يؤثر فيه دفع الآلاف من الدولارات. ربّما قالت له ذلك محاولة تغيير مجرى حديثه والتكلم في نطاق العمل فقط.

ـ أشكرك على تفحص الإمدادات الكهربائية.

واتكأ على الحائط برشاقة، فسرت رعشة في جسدها، لكنها أخمدتها قبل أن تنعكس في حديثها معه. كان يرتدي كنزة رمادية وينتعل حذاء رياضياً، وبدا وجهه أحمر اللون وكأنه كان يركض.

ـ لكنني، عاينت المكان قبل شرائه.

فغضبت كالي لأنها المرة الألف التي يصدها فيها، وشرعت تقول:

ـ إذاً...

وتراجعت بضع خطوات إلى الخلف لتلتقط صورة للحائط، بهدف التوثيق، قبل أن تضيف: «هل جئت تسألني عن أمر ما؟».

طرحت عليه سؤالها هذا، وهي تحاول التركيز على الصورة التي تلتقطها. ومع أنه كان يقف على بعد ثلاث أقدام منها على الأقل، شعرت بوجوده قريباً جداً منها.

كان ينشر حوله هالة من السخرية والإثارة في آن واحد، مما جعلها تشعر بخجل جعل نبضاتها تتسارع. أحست وكأنها رشفت كوبين من القهوة قبل تناول أي طعام. وعندما انحنت لترفع الصينية عن الأرض ارتبكت وأوقعتها. فعادت ورفعتها، لكنها وقعت من جديد. فصّرت على أسنانها ووضعت الكاميرا جانباً ورفعت الصينية بكلتي يديها.

ـ لم أود مناقشة أي أمر، بل كنت ماراً من هنا ليس إلا.

لم تصدّق كلامه، فقالت: «وهل كنت تركض في الممرات؟».

ـ لا ليس تماماً. كنت أركض على البحر.

فقطبت كالي جبينها وقد بدت الدهشة على وجهها: «أي بحر؟».

ضحك لسؤالها، فكانت هذه نقطة سوداء في سجّلها.

ـ أعتقد أنك لم تكوني تلميذة مجتهدة في صفوف الجغرافيا.

وضعت كالي يداً فوق اليد الأخرى التي كانت تحمل بها الصينية،

وقالت: «أعرف أن المحيط الهادىء هنا. لكن ألسنا بعيدين عنه؟».

فهز رأسه وقال: «ربّما يجدر بك النظر من النافذة من وقت لآخر، بدلاً من النظر إلى النافذة فحسب».

وأشار إلى النافذة الفيكتورية خلفها وأضاف: «إليك هذه على سبيل المثال!».

أجفلت كالي. هل كان يقصد أنها منهمكة في عملها إلى درجة أنّها لا ترى العالم من حولها؟ وأنها مشغولة بالتفاهات فلا ترى جوهر الأشياء؟ هذا ليس صحيحاً. إذا كان من أحد يقع عليه اللوم في غيابها الفكري، فيجب أن يقع على نيكولاس ڤاروس ولعبته الانتقامية، القطة والفأر.

وكان هو من يدفعها إلى اللهو الآن، فزفرت زفرة ساخطة واتجهت نحو النافذة حيث أخذت تتأمل الحدائق الزاهية المليئة بشجيرات الخزامى، وسرّحت نظرها ليصل إلى حائط حجري مظلّل وإلى مرج متموجّ تنتشر فيه أشجار البلوّط والصنوبر والأرز. وخلف كل هذا، أجفلت كالي لرؤية مياه زرقاء تتلألأ تحت أشعة شمس بعد الظهر.

شهقت إعجاباً واستدارت لتواجهه: «هذا المنزل يطلّ على البحر!».

تفاجأت لاكتشاف أنّها لم تدرِ بذلك أثناء البحث الذي قامت به حول المنزل. لكن السبب في ذلك يعود إلى أنها ركّزت على تكوين المنزل وهندسته، وليس على الأراضي المحيطة به. ابتعد نيكولاس عن الحائط وهو يقول: «ثمة منتزه على شاطىء البحر. وأنا أحب الركض بجانب المنحدرات الصخرية، فالمنظر رائع هناك. إذاً كما ترين، ثمة أماكن أخرى، غير بركة السباحة، فيها مياه».

عند ذكره بركة السباحة، تصاعد في داخل كالي إحساس بالذنب، فاشاحت نظرها عنه. أحست بوخز في جسدها، وتذكرت مشهداً آخر رائعاً. لكنه لم يكن المحيط الهادىء هذه المرة بل جسد كائن ينضح بالرجولة.

وغمغمت تقول: «أنت تتمرّن كثيراً».

ـ ماذا؟

أغمضت عينيها وتمنت لو أنها لم تقل ذلك بصوت عالٍ.

ـ آه.. لقد قلت...

الاعتراف بأنها كانت تراه كل ليلة يسبح هو التصرف الأكثر غباءً الذي أقدمت عليه. لذا، هزت رأسها وقالت تكذب: «قلت إنني لم ألاحظ حوض السباحة».

حاولت ألا تظهر أي انفعال وهي تنظر إليه، لكنها لم تستطع. لم تكن معتادة على الكذب.

بدت تعابير وجهه غير مفهومة وغير مقروءة، فانزعجت كالي لذلك. بدا غاضباً وضاحكاً ومنزعجاً في آن واحد ولم تستطع معرفة ما إذا صدقها، أو ما إذا ما كان يكترث لأن تراه يسبح. يا له من رجل مثير للغضب!

ـ يجب أن تري المحيط عن كثب.

وتابع يقول وهو يدس يديه في جيبه: «لا أعتقد أنك ستحظين بفرصة رؤية مناظر مماثلة في كانساس!».

شعرت بالوخز من ملاحظته، وتحوّل الذنب عندها إلى استياء، فقالت: «المحيط ليس المشهد المثير الوحيد في العالم!».

عضّت على شفتها، فقد بدا عليها الاضطراب. وقالت تحدث نفسها: لا تكوني سخيفة يا كالي. لم ترتكبي أي خطأ. لم تقولي أي كلمة تدينك.

ـ لقد ذهبت إلى فلوريدا مرتين. لا أعتقد أن المحيط الأطلسي يختلف كثيراً عن المحيط الهادىء.

رمقته بنظرة حادة قبل أن تستدير متجهة إلى الحائط الّذي نزعت منه المفتاح الكهربائي.

ـ عليّ القيام بعملي. ولا يدخل تأمل المحيطات نطاق عملي.

وتابعت تقول بعد أن رمقته بنظرة قاسية: «لست هنا في عطلة، ولا أنوي البقاء في المنزل مدة أطول من اللازم. لكن أعدك بألا ألجأ إليك إذا ما احتجت للتسلية!».

لم تترك ثورتها أي آثار ظاهرة عليه. وبقيت ابتسامته مجرّد حركة بسيطة

من فمه، لكنها شعرت بأنه يتلاعب بأعصابها. لمَ لا تحافظ على رباطة جأشها معه؟ سبق لها أن تعاملت مع زبائن صعبي المراس من قبل، لكنها بقيت مثالاً للباقة. ولكن ما الّذي يدفعها إلى شفير الجنون عندما يتعلق الأمر بنيكولاس ڤاروس؟

ـ لن تلجأي إليّ! يسرّني أننا متفقان!

وقطع الرد الساخر عليها تأملها الغاضب.

ـ المعذرة آنسة أنجليس، عليّ الانسحاب لأغير ملابسي وأتحضر للعشاء.

تكلم بأسلوب ساخر ثم همّ بالمغادرة. وشعرت كالي برغبة قوية في أن تطلع نيكولاس على فكرة راودتها، فقالت: «سيّد ڤاروس».

توقف نيكولاس عند الباب والتفت نحوها: «نعم».

ـ بانت والدتي وحيدة الآن بعد أن رحل جدّي كريس. وبما أنها اهتمّت به عدة سنوات، فهي تشعر بالضياع من دونه. وكنت أرغب في أن تأتي وتمكث هنا معي خلال فترة عملي... أعلم أنني لا أملك الحق في طلب ذلك، لكن لقد سبق لأمي أن التقت بجدك، ولديهما أصدقاء مشتركون في اليونان. لذا فإني واثقة من أنّ إقامتها هنا ولقاءها بديون مجدداً والتحدث معه عن أصدقائهم القدامى والعائلة سوف يريحها.

لم تضف كالي أن وجود والدتها سوف يوازن الفروقات في الحرب بين آل ڤاروس وآل أنجلس. وإن كان ثمة من يمكنها الاعتماد عليه في حربها هذه، فهو أمها ودعمها القوي لها.

أخذ يتأملها وقد سيطر التوتر على الموقف.. لأول مرة شعرت كالي أنها تسمع الأمواج تتكسر على الصخور، أم أنها نبضات قلبها تدوي في أذنيها؟

بدا نيكولاس مثيراً في وقفته هناك. هل كل ما تراه مثيراً في ذاك الرجل يلفقه لها خيالها، أو مجرد ردّة فعل هرموناتها الأنثوية على رجل مثير، يظهر

بوضوح كرهه لها؟

قال لها: «أهلاً وسهلاً بوالدتك، طبعاً!».

ثم استدار خارجاً من الغرفة.

كانت قد حضّرت نفسها للاحتجاج، ففتحت فمها لتقول: أيها العديم الإحساس! لكنها أدركت متأخرة ما قاله لها، وترحيبه بزيارة أمها.

غمغمت تسأل نفسها وقد أذهلها جوابه غير المتوقع: «هل الأمر حقاً كذلك؟».

بقيت مذهولة وهي تستدير نحو الحائط. كانت عملية إعادة المفتاح الكهربائي صعبة لا سيّما أن يديها راحتا ترتجفان.

أهلاً وسهلاً بوالدتي، طبعاً؟

أخذ القلق يتآكلها من جديد. لم تكن تثق بكلام نيكولاس ڤاروس ولا بأفعاله.... حسناً يا سيّد حقود أيّ خطة فاسدة تنوي تنفيذها الآن؟

أعربت كالي لوالدتها عن قلقها من هذه الدعوة، عبر الهاتف. وقام شارلز بكل الترتيبات كما دفع نيكولاس ثمن بطاقة السفر، مما فاجأ كالي وجعلها أكثر حذراً. ما هذا اللطف الّذي حط فجأة على رجل يبدو سعيداً بتمضية نصف نهاره في مراقبتها وهي تجدّ وتكدّ؟

رغبت كالي في أخذ قسط من الراحة لتلاقي والدتها في المطار، لكنها أدركت أن ذلك سيكلّفها الوقت الكثير فتطول إقامتها تحت سقف هذا المنزل، الّذي لا يثق بها أهله. لذا، طلبت من شارلز أن يقلّ والدتها من المطار إلى المنزل. نظرت إلى الساعة في يدها، فأيقنت أنّها حوالى الثالثة والنصف. لقد حطّت الطائرة منذ ساعتين. لذا، إذا ذهب شارلز ليقل والدتها فسيصلان في أي لحظة. وأخيراً سوف يكون لها حليف!

قررت أن تنقل عمل التوثيق الذي تقوم به إلى البهو، علّها ترى والدتها حين تدخل من باب المنزل. فتسلقت سلماً وضعته في البهو، وأخذت تلتقط صوراً لإفريز عميق. كانت طبقات الطلاء قد مخت معالمه الحقيقية. بعد أن صوّرته، دوّنت كالي بعض الملاحظات. كانت الافريزات المنتشرة في المنزل

كله بحاجة إلى التقشير بدقة لإعادتها إلى ما كانت عليه من جمال.

عندما ينتهي تجديد المنزل، قد تعطي كالي أثمن ما لديها لتمدد إقامتها فيه، لتبقى بضعة أيام تتمتع بتأمل تفاصيله كلها. لكنها لن تقدر، وستكتفي بأن تحلم كم سيصبح هذا المنزل المهيب جميلاً.

سمعت كالي صوت الباب يفتح فحبست نفسها. بدأ الباب ينفتح شيئاً فشيئاً، فوقفت كالي صامتة على السلم. حليفتها المخلصة على وشك الدخول.

سمعت قهقهة، وعرفت أنها أمها. لكن لم القهقهة؟ فلم تمض سوى أيام قليلة على وفاة كريس الذي جعل زو برحيله، مفطورة القلب. إنها قادرة حقاً على القهقهة كفتاة ما زالت في المدرسة؟ ما سبب هذه المعجزة؟

اختلطت ضحكة زو بضحكة أخرى أعمق، وعرفت كالي على الفور أنه نيكولاس، مع أنها لم تسمعه يوماً يضحك! ما الأمر؟ هل ذهب بنفسه إلى المطار ليقلّ والدتها؟ ألهذا السبب لم تجده في المنزل بعد الظهر؟ ومع أنّ عقلها أبى أن يصدق ذلك، لم تعد تساورها أي شكوك حين فتح الباب ورأتهما بأم عينها.

دخلت السمراء الفاتنة زو وهي تمسك بيد الشاب الوسيم الضاحك نيكولاس ڤاروس. كان وجه زو الهادىء باسماً وعيناها أكثر اتساعاً من العادة وبدت أصغر بعشر سنوات من سنها الحقيقي.

عند رؤيتها، هتفت كالي من دون أن تعي أنها تكلمت بصوت عالٍ: «ماما؟».

انحسرت ابتسامة الثنائي ونظرت زو من حولها. كان الفستان الأحمر الذي ترتديه يعكس جمال قدها. تأملت كالي أناقة والدتها، وتمنت لو أنها ورثت عنها نحولها بدلاً من جسم آل أنجليس الممتلىء.

حين وقع نظر زو على السلم، رفعت عينيها إلى أعلاه فوجدت ابنتها. عندها، عادت الابتسامة إلى شفتيها مع أن كالي شعرت بومضة استياء في عينيها. واعتبرت كالي أن خيالها صوّر لها هذا، لا سيّما أنها عند أعلى

السلم.

ـ عزيزتي!

أفلتت زو يد نيكولاس وفتحت ذراعيها قائلة: «انزلي عن هذا الشيء يا حبيبتي وأعطي أمك قبلة».

تلاشت شكوك كالي، وأمسكت بكاميرتها ودفتر ملاحظاتها وأخذت تنزل السلم. قالت وهي تنزل: «أمي، تبدين رائعة».

كانت وجنتاها متوردتين وعيناها الرماديتان لامعتين. وبدت لها أحسن حالاً مما تركتها عليه، منذ خمسة أيام.

ـ آمل أن تكوني قد استمتعت برحلتك!

ـ نعم، كانت رحلة جيّدة، جيّدة جداً!

تجاوزت كالي الدرجتين الأخيرتين من السلم وأسرعت تحتضن أمها: «أنا سعيدة جداً!».

تجنبت النظر إلى نيكولاس، لكنه كان قريباً جداً منها، قريباً إلى درجة أنها شمت الرائحة الزكية لعطر بعد الحلاقة الذي يستعمله، وشعرت بحرارته.

بعد أن قبلت زو ابنتها، قالت: «نيكولاس مضيف رائع».

وأفلتت يد كالي لتعود وتلتقط يد نيكولاس. فشعرت كالي بقشعريرة سرت في جسدها لدنوه منها أكثر.

أحست كالي بوجود خادم يدخل الحقائب ويحملها إلى الطابق العلوي، لكنها لم تستطع التفكير إلا في نيكولاس. كيف يبدو، رائحته، قربه، طوله، وقفته، صمته...

قالت زو: «إنه شاب لطيف وكريم».

وربّتت على وجنة نيكولاس بشيء من عاطفة الأمومة وتابعت تقول: «لقد دار بيننا حديث شيّق، وكأننا نعرف بعضنا البعض منذ سنوات».

والتفتت نحو ابنتها فأدركت كالي أنها ليست مخطئة هذه المرة، فقد ارتسم اللوم في عيني والدتها. وقالت زو لابنتها وهي تربّت على وجنتها: «لا

أعتقد أنني ربّيت فتاة حمقاء. إذاً عزيزتي لمَ لست بعد السيّدة ڤاروس».

وابتعدت عن ابنتها التي بدت مذهولة وخائفة من الإجابة. ثم قالت لنيكولاس وهي تبتسم كمراهقة متيّمة: «أعتقد أنني سآخذ حماماً طويلاً قبل أن يحين موعد العشاء».

وأمسكت بذراع نيكولاس وهي تقول: «أنا متشوّقة جداً لرؤية ديون مجدداً. إنه رجل مرح مثل حفيده».

بقيت كالي تقف مذهولة وتتنفس بصعوبة فيما صعدت أمها ومضيفها الدرج. بعد قليل، تردد صدى كلمات أمها في رأسها.

إذا لمَ لست السيدة ڤاروس بعد؟

ما الذي حدث؟ هل كانت هذه المرأة أمها، الشخص الّذي أملت أن يكون حليفها، رغم كل شيء؟ الشخص الوحيد على الأرض الّذي ظنت أنه سيقف إلى جانبها ويساندها في وجه الجميع؟

كانت زو أنجليس أماً حنون ومخلصة، بكل معنى الكلمة. ما كانت لتتخلى عن مساندة ابنتها الوحيدة، حتى ولو أعجبها ذاك الرجل الشرير المختبىء في ثياب الأمير الساحر.

بعد مضي ساعة، صعدت كالي الدرج فرأت والدتها عند أعلاه.

ـ ماما؟ ظننتك تأخذين حمامك.

ـ لقد قمت بذلك. هل تودين أن أمضي كل الوقت في الاستحمام؟

نزلت زو السلم، من دون أن يحدث حذاؤها الرياضي أي ضجة. كانت ترتدي سروالاً أسود واسعاً وبلوزة زرقاء فاتحة اللون. أما شعرها الغامق، فربطته على شكل ذيل فرس، مما جعلها تبدو أشبه بشقيقة كالي الصغيرة لا بأمها.

قالت لابنتها بصوت منخفض وكأنها تحيك مؤامرة: «عزيزتي، أودّ أن أتحدث إليك في موضوع».

تركت كالي دفتر ملاحظاتها وكاميرتها جانباً، وهي تنظر إلى القلق الّذي بدا على وجه أمها، وسألتها: «هل من خطب؟».

اتجهت زو نحو ابنتها وأمسكت بيديها، ثم قالت لها: «يجب أن أعرف ما الّذي أصابك؟».

لم تفهم كالي ما قالته أمها، فاستفهمت: «أصابني؟».

قطبت زو حاجبيها ومالت نحو ابنتها تهمس لها: «بشأن نيكولاس!».

شعرت كالي بالاضطراب فقالت: «لا... لا أعلم ماذا تقصدين، أمي».

ـ يا عزيزتي، حين عدت إلى كانساس وقلت لي إنك تراجعت عن قرارك بشأن الزواج من نيكولاس؛ قلت لك إن الأمر يعود لك، ولا دخل لي بحياتك.

توقفت قليلاً عن الحديث لتضغط على أصابع كالي ثم تابعت: «لكن بعد أن التقيت هذا الرجل، بتّ أشك بسلامة عقلك».

ورمقت ابنتها بنظرة مركّزة ملؤها الشك، ثم سألتها: «ما الذي لا يعجبك فيه؟ أليس وسيماً بما فيه الكفاية؟ أليس غنياً بما فيه الكفاية؟ أليس كريماً بما فيه الكفاية، فقد جعل المرأة التي نبذته، تجدد له منزله ودفع ثمن بطاقة الطائرة لوالدتك لتأتي لزيارتك. أليس هو الرجل نفسه الّذي كان جدّك معجباً به كثيراً؟ ألا يكفيك كل هذا؟».

ثم أفلتت يدي ابنتها وقالت لها: «ما الذي تحتاجينه في رجل لتجديه صالحاً بما فيه الكفاية؟».

كانت كالي تعرف أن أمها لا تلجأ إلى السخرية إلا حين تصبح غاضبة أو شديدة الاستياء، أو في كلتي الحالتين. لهذا دقت نبرتها الساخرة أجراس الإنذار.

ـ من فضلك أميّ، لقد انتهى الأمر. أعرف أن نيكولاس يملك كل هذه الميّزات، لا بل أكثر من ذلك!

ـ أكثر؟ وهل من ميزة لم آتِ على ذكرها، عند هذا الرجل؟ ما هي؟ هل هو لطيف مع الحيوانات، هل هو شغوف بالأولاد؟

عادت تتحدث بتلك النبرة الساخرة للمرة الثانية في يوم واحد. فكان هذا

دلالة واضحة على أن زو غاضبة جداً.

ـ ماما، عندما قلت لك إن هناك أكثر من ذلك، لم أكن أعني أي ميزة. كلمة أكثر قد تعني عيباً أيضاً!

ـ عيباً!

لم تتغيّر تعابير وجه أمها، ورأت كالي علامات الشك على وجهها.

ـ هل ضربك؟

ـ لا. لا، بالطبع لا.

ـ هل قامر أو سكر؟

ـ لا، لا بحسب علمي.

أصدرت زو صوتاً نم عن إحباطها ورفعت يديها وكأنها تقول: «أنا أستسلم!».

فعبست كالي وقد بدا الاستياء على وجهها، وقالت: «ماما، هذا الرجل محب للانتقام. لقد جعل حياتي بائسة منذ اللحظة التي التقينا فيها في المطار. لذا فأنا أعلم من خلال تجربتي الشخصية أنه أبعد ما يكون عن مثال الكمال الذي تظنينه».

ـ محب للانتقام؟

واتسمت لهجة زو بالاتهام وارتفع صوتها.

ـ ولمَ تظنين أنه كذلك؟ لعلك جرحته حين نبذته آخر دقيقة؟

وتابعت تقول: «إنه من آل ڤاروس، عائلة يونانية قديمة، لديها كبرياؤها. ماذا لو انقلبت الموازين؟ ماذا لو كان هو من نبذك في آخر لحظة؟ أما كنت ستشعرين بالرغبة في الانتقام أيضاً؟».

ـ لا.

قالت كالي ذلك وهي متأكدة تماماً من أنّها تعني ذلك. حسناً، شبه متأكدة من أنّها تعني ذلك.

ـ لا، كنت سأتابع حياتي... وأنساه.

وفجأة ساورتها فكرة فحوّلتها إلى حجة وقالت: «ما كان والدي ليتصرف

على هذا النحو السيء!».

تغيّرت تعابير وجه زو للحظة، لكنها عادت وقطبت جبينها، ثم قالت: «كان والدك ليلحق بك بساطور الجزّار».

ـ ماذا؟

لم تصدق كالي ذلك. لم تستطع حتى تخيّل هذا الموقف المضحك.

ـ هذا ليس مضحكاً.

ـ لم أقصد أن أجعل الأمر كذلك، يا عزيزتي. كان لوالدك طبع خاص وكبرياء الرجال. كان شغوفاً بك جداً. لكنه كان يغضب بشدة إذا ما أزعجه أحدهم. من المؤكد أنه كان سيصبح محباً للانتقام. ولو كان حياً اليوم، لما راقه تصرفك. كان سيقول إنك لطخت شرف آل أنجليس.

لم تستطع كالي أن تتكلم من جراء دهشتها. ما كان والدها ليقول شيئاً مماثلاً، فهو مثال للطافة.

ـ ماما، لا يحق لك أن تقولي أشياء مماثلة عن أبي!

ـ لقد كنت زوجته وقد أحببته يا كالي. لكنه لم يكن كاملاً. ما من رجل كامل في هذا العالم!

أمسكت أمها بيديها مجدداً وضغطت عليهما بقوة، فآلمتها، وكأنها تحثها على التفكير بحكمة.

ـ لقد فقدت والدك حين كنت فتاة صغيرة. من الطبيعي أن تجديه كاملاً. لكن لا تدعي تلك الصورة تصبح المثال الذي تبحثين عنه في شريك حياتك. فالرجال يغضبون، وهم ليسوا قديسين ولا تتوقعي من نيكولاس أن يكون كذلك.

ثم تابعت تقول: «عزيزتي، أريد منك أن تتكلمي مع نيكولاس وأن تطلبي منه أن يسامحك ويتزوج بك. إذا تركته يفلت منك، فستكونين حمقاء. صحيح أنني قلت لك إنني لن أتدخل في أمورك الشخصية، لكن هذا الرجل هو مثال الرجل الذي تتمناه كل امرأة من جهة المظهر والعقل والغنى والشرف والإخلاص».

فقالت كالي ساخرة: «شرف، إخلاص؟ عمّ تتكلمين؟ أين الشرف عند شخص محبّ للانتقام؟ وأين الإخلاص عند رجل يعاملني أحياناً وكأنني خادمة بنصف عقل، وأحياناً أخرى يزأر كأسد غاضب؟».

فقالت زو بغضب: «يمكن لنيكولاس ڤاروس، أن يحصل على أي امرأة يريدها. لكنه كان جاهزاً ليبرم عقد الزواج، أليس كذلك؟».

أدركت كالي أنها كانت تصرخ وتتكلم بصوت عالٍ، وهي تقول: «إنه رجل دائم الأسفار، يتنقل من بلد إلى آخر ولا يملك الوقت ليغازل امرأة. إنه كثير الأعمال وليس لديه الوقت ليقع في الغرام».

ـ لمعلوماتك يا ابنتي، لقد قال لي جدّك كريس إن نيكولاس لا يفضل الزواج المبني على المشاعر والأحاسيس. فقد ترك والده أمه ليلحق بامرأة أميركية إلى كاليفورنيا ويتزوج بها، أنا متأكدة من أن هذه التجربة جعلته لا يميل إلى الزواج المبني على الحبّ.

كانت هذه معلومات جديدة بالنسبة إلى كالي، لكن موقفها لم يتغيّر فقالت: «إذاً، الأمر كما ظننت لم يستند قراره إلى الشرف بقدر ما بناه على الحيلة».

صرخت زو وقد بدأت اللهجة اليونانية تطغى على حديثها، من جراء الغضب الذي انتابها: «لا علاقة لدوافعه بما تقولينه!».

ـ بل هي على علاقة بما أقوله!

لم تصدق كالي أن الأمور وصلت بينها وبين والدتها إلى هذا الحدّ. وتابعت تقول: «من فضلك أخفضي صوتك. ماذا لو سمع حديثنا؟».

ـ إذا كان الصراخ يعيدك إلى رشدك، فسأصرخ!

ـ لكن ماما.

قاطعتها زو قائلة: «نيكولاس ليس في المنزل، رأيته يخرج، وديون أيضاً ليس هنا».

ثم أمسكت بذقن كالي وتابعت قائلة: «حتى ولو كانا يستمعان، لا يهمني فنحن لا نقول أشياء يجهلانها».

ـ من فضلك أمّي.

أفلتت كالي ذقنها من بين يدي أمها وتراجعت نحو الخلف قائلة: «دعينا لا نتشاجر».

ـ نحن لا نتشاجر. كل ما أقوله لك هو إن نيكولا رجل رائع ومخلص..

ـ مخلص؟

التفتت إليها كالي وقد ارتسمت ابتسامة ساخرة على شفتيها. وتابعت تقول: «إنها المرة الثانية التي تقولين فيها إنّه مخلص. لمَ هو مخلص بالضبط؟».

ـ لذكرى كريستوس بالطبع ولرغبة جدّه. والآن...

أمسكت مجدداً بأصابع كالي وضغطت عليها قائلة: «اذهبي إلى نيكولاس وتوسلـ...».

ـ لا تقولي هذا مجدداً! لن أقوم بذلك.

ابتعدت عن أمها وهي تقول: «لقد واجهت ما يكفي من المتاعب مع رجال ڤاروس. وإذا كنت سأواجه المتاعب معك، فسأقدر لك إذا ما استقليت أول طائرة عائدة إلى كانساس!».

ـ لن أفعل ذلك! سوف أبقى إلى أن تقومي بما هو صحيح.

ـ ماما، إنك تقولين الحماقات. لن يقبل بي مجدداً. إنه يكرهني!

ـ لقد جرحت كرامته، فاطلبي منه المعذرة. لن تصلحي الأمور قبل الاعتذار!

إصلاح الأمور! نيكولاس مستعد لرميها من أيّ شباك بدلاً من التفكير مجدداً بالزواج بها. شعرت كالي بالخوف من رؤية أمها المشوهة للحقيقة. بقيت تتأملها متسعة العينين ونبضات قلبها تتسارع. وحين أفاقت أخيراً من ذهولها، استدارت وخرجت من الباب.

نزلت السلم متجهة نحو الحديقة فلاحظت وجود نيكولاس هناك. ونيكولاس آخر شخص تودّ رؤيته. كانت وجلة، وغاضبة من أمها ومن نيكولاس الذي قال لها: «لمَ العجلة آنسة أنجليس؟».

كان متكئاً على جذع شجرة بلوط مخبأة بين الأشجار، فكادت لا تراه. لكن ابتسامته الخداعة كانت تومض في الظلال. شعرت كالي كما لو أنها أرنب ونيكولاس ثعلب. لكن، لو كان الحال كذلك لكانت أرنباً ميتاً الآن.

بدت شاحبةً لأنها ظنت أنه اتفق مع أمها ضدها، فالتفتت نحوه ووجهت إصبع الاتهام إليه قائلة: «حسناً يا پال، ماذا فعلت لها؟».

* * *

٦ ـ موعد على العشاء

ما إن قالت كالي كلماتها هذه، حتى أدركت أن ما قالته مثيرٌ للسخرية وهستيري. لم يتفوّه نيكولاس بأيّ كلمة لوقت طويل، وبقي متكئاً على جذع الشجرة لكن شيئاً ما تغيّر، إذ ماتت الابتسامة على شفتيه. وبعد ثوانٍ قليلة ضاقت عيناه. في الواقع، لم يكن يتوقع منها أن تلومه بعنف لدفعه ثمن بطاقة سفر والدتها إلى كاليفورنيا.

استشاطت غيظاً قائلةً: «لقد استملت أمي إلى جانبك بإطراءاتك. ومن يعلم ماذا فعلت أيضاً!».

قطّب نيكولاس حاجبيه لسماعه كلماتها وابتعد عن الشجرة وسار بتمهل نحوها. لم تكن واثقة من رغبتها في أن يخرج إلى ضوء الشمس، فقد أخافها بما فيه الكفاية، وهو يقف في الظلّ.

ـ على الرحب والسعة آنسة أنجليس! أمل أن تستمتع زو بزيارتها.

توقّف على بعد ثلاث أقدام منها وأخذ ينظر إليها من حذائها المغبر إلى شعرها المشعّث، والمغطى بخيوط العنكبوت. وفجأة تملكها الغيظ، فتخللت بيدها شعرها المشعث، آملة ألا تكون متسخة كثيراً. فهي لا تشعر أنّها بحال جيّدة حين يكون مظهرها غير لائق.

قالت تحدث نفسها: «ومن يكترث لما يقوله؟ هيّا قفي جيّداً وقابلي نظراته هذه بنظراتك. لديك الحق في أن تكون هناك خيوط عنكبوت، على رأسك. فقد بقيت متعلقة بالسقف المتسخ طيلة النهار، ولديك الحق بأن تكوني غاضبة. لقد استطاع بحيلة ما أن يجعل أمك تقف ضدك!».

www.elromancia.com

رفع يده ودنا منها، فأبعدت يده عنها وصرخت.

تفاجأ لشدة انفعالها، فبقي صامتاً ويده مسمرة في الوضع الّذي كانت عليه.

نظرت إليه قائلة: «ما كان هذا؟».

فأنزل يده متأخراً، وقال ساخراً: «خدك ملطخ».

شعرت بالحرارة تعلو وجهها وفركت اللطخة.

ـ حسناً، لكنه ليس سبباً كافياً لتضربني!

اتسعت عيناه للحظة، ثم استعادت تعابير وجهه جمودها. وشعرت كالي أن ردة فعلها المبالغ بها، ضايقته.

ـ كان ذلك مجرد مزاح، آنسة أنجليس! والآن أود استئذانك لأذهب وأغيّر ملابسي، فلدي موعد.

سمعت كلمة «موعد»، لكنها لم تفهمها جيداً في بادىء الأمر.

ـ موعد؟

سمعت نفسها تردد كلمته بصوت عالٍ، فأدركت فجأة معناها. وعضت على شفتها وقد ضايقها أن ترددها بصوت عالٍ وبهذه النبرة البائسة. هز نيكولاس كتفيه استهجاناً ودسّ يديه في جيبي بنطاله الجينز وقال: «لدي الكثير من أوقات الفراغ لذا قررت أن أستفيد منها».

فقالت بضحكة هازئة: «بضرب المواعيد؟».

لمَ لم تسرها هذه المفاجأة؟ يمكنه الخروج في مواعيد متى شاء، فهذا لا يهمّها أبداً.

ـ ضرب المواعيد ليس بأهمية إيجاد علاج للبرد، لكن إذا كنت تظن أنه سيأتي بنتيجة، فقم به.

رفع حاجبه لسخريتها وقال: «شكراً، هذا ما سأقوم به، ومن دون موافقتك».

ثم استدار وتوجّه نحو المنزل.

شعرت بالانزعاج من سخريته. وقبل أن تدرك ما تفعله، انطلقت مسرعة

نحوه.

ـ أردت أن أسألك سؤالاً أخيراً قبل أن تذهب.

أمسكت بذراعه لتوقفه أو على الأقل لتخفف من مشيته السريعة.

ـ لم تعطني جواباً مباشراً عن موضوع أمي.

لمَ عادت تثير هذا الموضوع؟ لم لا تتركه يرحل؟ كان يتمنى أن يرحل، فلمَ تمسك بذراعه وتطلب منه أن يبقى؟

ـ أظنك تعلم أنّ أمي أصرت على أن أركع أمامك وأتوسل إليك لتقبل بي مجدداً.

وتابعت تقول: «بما أنك مارست سحرك عليها وجعلتها تعتقد أنك رجل كامل، ماذا تقترح أن أفعل الآن؟».

استدار ليواجهها وقد بدا الغضب عليه، وقال: «اعتقد أن الرجال المؤدبين قلائل في كانساس».

أخذت كالي حذرها من جوابه، وبقيت تنظر إليه وهو يقول: «كنت أتصرف كجنتلمن فحسب. ولم أحاول استمالة والدتك إلى جانبي. كل ما قمت به هو معاملتها بالاحترام الّذي تستحقه. فقليلات هن النساء اللواتي يهتممن بحماهم لأعوام، من دون تذمر! زو امرأة رائعة. لقد أعجبتني وأعجبني إخلاصها للعائلة. لم لا يجدر بي معاملتها باحترام؟».

ومال قليلاً نحو الأمام وقال بصوت منخفض: «وهل تفضلين أن أعاملها بالازدراء الّذي تستحقين أن تعاملي به، لأنها والدتك فقط؟».

كانت عيناه تقدحان غضباً وسخطاً، فبدت نظرته مخيفة لا بل تخطف الأنفاس.

لم تعرف كالي ماذا تفعل، إذ لم يعد عقلها يعمل جيّداً. كل ما استطاعت التفكير فيه هو الغضب الّذي يتقد في عينيه. كان ذلك أشبه برؤية نارٍ بعيدة في ليل مظلم، والتوق للتدفؤ بحرارتها مع أن الاقتراب منها كثيراً قد يحرق؟

أمسك ذراعها وقد ارتسمت على وجهه تعابير لم ترها من قبل: «لم تجعلني أمك موضع سخرية الناس. لكنك قمت بذلك يا خطيبتي السابقة».

تلفظ بكلماته هذه وقد بدا كذئب مجروح غاضب وخطير، فذعرت لمنظره. هل سيمسك بها ويرميها في البحر؟

وقف هناك طويل القامة، مهيب المظهر وقد تملكه الغضب. تنفست بصعوبة وشعرت بالألم في صدرها لمحاولة التقاط أنفاسها. بدا الصمت بينهما غير مفهوم، وتسارعت الأفكار في رأسها وتدافعت من دون أن تؤول إلى شيء. خفق قلبها بقوة فانسجمت نبضاته المتسارعة مع صوت الأمواج المتكسرة عند الجرف القريب.

بدت وكأنها تتوقّع حدثاً ما، لكن ماذا؟ قدرها الوشيك؟

أخذ يتفرس في وجهها ثم توهجت نظرته فبدت مبهجة ومزعجة في آن واحد. لم تستطع كالي الحراك ولا التفكير بعد أن سمّرها التوهج الذي شهدته في عينيه. ولم تعد تقوى على المقاومة.

أطبقت عليها ذراعاه بشدة. كان عناقه قاسياً ملؤه الازدراء. وقد عكس حقيقة أبت شفتاه أن تقولها، ولكنها عجزت عن نكرانها. لم يكن أمامها من خيار إلاّ أن تبادله العناق. وسرت في جسدها قشعريرة سمرتها.

أذهلها ردّها القوي، وتجاوبها العنيف، ودنت منه أكثر علها تشعر بدفء رجولته.

بدأت تفقد وعيها، وتملّكها شعور غريب، حاجة غير مبررة للتعلّق به والغرق في بحر المشاعر التي أثارها فيها.

فجأة توقف كل شيء، كما بدأ! لم تعد ذراعا نيكولاس تغريانها وتدفعانها إلى شفير الاستسلام.

وأصابها دوار فأخذت ترتعش وتترنح. أما نيكولاس فلاح في عينيه بريق بارد شق طريقه إليها. همّ بالكلام، لكنه عاد وفكر بالأمر، وعدل عن ذلك. بدا مضطرباً، وصرّ على أسنانه ثم استدار واتجه نحو المنزل.

ما إن استدار نيكولاس، حتى فقدت كالي القدرة على الوقوف فجثت على ركبتيها وسط الحشيش والورود. بعد الارتباك الّذي شعرت به من جراء

ما حصل، بدأت تسترجع قدرتها على التفكير والإحساس، فشعرت بالحزن. لم تستطع أن تشعر إلا بالحزن والألم. ولم يكن ألمها جسدياً، بل نفسياً من جراء الإهانة التي تعرّضت لها.

لم تستطع الكف عن التفكير بأن نبذها له ألحق به العار، لكنه سعى بعناقه هذا إلى إلحاق العار بها، عبر إثارة مشاعرها، ومن ثم نبذها حين تستسلم لما يتملكها من أحاسيس.

خنقت تنهيدة وبكت، بعد أن شعرت بأنها حقيرة وضعيفة لردة فعلها وتجاوبها معه. وبعد أن عجزت عن التغلّب على ما اعتمل في نفسها، حوّلت نظراتها الحزينة إليه لتراه يبتعد عنها متجهاً نحو المنزل.

صرخت تقول: «ما فعلته بك، لم أفكر فيه...».

فتراجع نيكولاس بعض الشيء وكأنه سمعها، لكنه عاد وتابع سيره نحو المنزل.

ـ لكن ما فعلته بي كان...

لم تستطع صياغة ما شعرت به. جعلتها ذكرى عناقه الغاضب الذي يخطف الأنفاس ترتعش وقالت: «أعتقد...».

ـ أعتقد أننا متعادلان الآن.

لم يشعر نيكولاس يوماً أنه شخص حقير كما شعر هذه المرة. ما الّذي جرى له هناك في الحديقة؟ بقي وحيداً لبرهة، يتساءل لم لا يستطيع أن يكف عن التفكير في امرأة لم تسبب له إلاّ المتاعب. وكره الشعور الّذي ينتابه، كلما رآها.

كان يعلم أنها لبست الجينز والقميص لأن عملها قد يجعلها تتسخ. لكن ما الّذي جعلها تبدو بهذه الجاذبية؟ كانت تشبه مارلين مونرو إلى درجة تثير أعصابه وتكاد تؤثر به.

تكاد؟

لم يغير خططه ولم يرد أن يعانقها من قبل! لكنه عانقها الآن! كان يستشيط غيظاً منها، ومن نفسه لأنه رغب فيها. لا بد أنّه فقد وعيه للحظات.

كان ذلك مثيراً للسخرية ومحبطاً. لكن لو لم يكن بينهما ذاك التاريخ الذي ألحق العار به وبعائلته، لطلب يدها الآن. ولكن في هذه ظل الظروف الراهنة، لن يتمكن من ذلك. حسناً، بل يستطيع! لكنه لم يستقدمها إلى هنا لهذا السبب. لقد جرحت كبرياءه بعمق، وكان ينوي أن يلقنها درساً مماثلاً. لم يكن ينوي مغازلتها، حتى ذاك الوقت الذي ضمّها فيه بين ذراعيه. وهذا ما لم يكن ينوي القيام به أيضاً.

أجفل نيكولاس وفرك عينيه، محاولاً أن يمحو صورة وجهها من ذهنه.. حين قرر الانسحاب أخيراً، حاول أن يعتذر، أن يحمل ذاك الفم الغبي على النطق، لكنه لم يستطع. ربّما لأن قسماً متمرداً من عقله كان مع تلك الخطوة. كان قسمٌ منه يحتفل بها، وبقدرته على معانقتها ذاك العناق الحار.

لعلّ الإحباط الذي يصيبه كلّ يوم حين يراها والرغبة الجامحة التي تجتاحه لأخذها بين ذراعيه و... حسناً، ربما لهذا السبب قرر أن يبدأ بالخروج مع نساء أخريات. لكنه كان يشعر نحوها بشعور غريب، شعور يتملّكه رغماً عنه.

غمغم يقول: «أيّها الغبيّ الذهاني!».

ـ ماذا قلت يا نيكولاس؟

تشتت تخيلاته بشأن كالي. تذكّر أنه على موعد الآن مع فتاة، فضحك لـ... ما كان اسمها؟ ماري؟ ميرا؟ لسوء الحظ، لم يكن مهتماً بمعرفة اسمها. أخذ يبحث عن إجابة تبرّر ما قاله، فردّ: «كنت أتساءل عما إذا كانت شريحة اللحم كافية لك؟».

فرمقته بنظرة حالمة واقتربت منه أكثر وقالت: «إنها لذيذة!».

ووضعت يديها على سطح الطاولة الزجاجي، فبدت ذراعاها طويلتين وأظافرها مطلية بعناية. لم يستطع نيكولاس إنكار أنها جذابة. كانت شقراء ممشوقة القوام، ناعمة البشرة وكانت شفتاها مثيرتين.

ـ نعم اللحم لذيذ الطعم!

قالت ذلك وابتسمت ابتسامة إغراء، وكأنها تقول له إن اللحم لم يكن الشيء الوحيد اللذيذ على الطاولة.

اختلس نظرة إلى طبقها، فوجد أنها أكلت شريحة اللحم بلقمتين. كان يعتقد، بالنظر إلى نحولها، أن ملعقة واحدة مليئة بالطعام، تمثل قمة الشراهة.

شعر بالاستياء والغضب. ما خطبه؟ فالمرأة جميلة ومثيرة. لمَ يشعر في داخله وكأنه أسدٌ يدور في قفص؟ وفيما كان يمضغ طعامه، قرر أن يحافظ على ابتسامته، وتساءل عما إذا ستنتبه الحورية التي تجلس قبالته، أنه لم يدعها باسمها.

حاول مجدداً طرد أفكار راودته بشأن كالي وعناقها، فكافح ليصب اهتمامه على من تتناول العشاء معه. بحق الله، ما كان اسمها؟ ماي؟ مارغريت؟ اسمها يبدأ بحرف الميم وهو شبه متأكد من ذلك. قالت الشقراء: «عليّ الاعتراف يا نيكولاس بأنني فوجئت باتصالك بعد الظهر!».

ليس بقدر ما تفاجأت أنا لقيامي به.

أجابها بهذه الكلمات من دون أن يلفظها. لقد التقى بها مرة في حفل زفاف صديق له، فأعطته بطاقتها. وقد وجد هذه البطاقة اليوم بالصدفة، فاتصل بها. كان بحاجة للخروج مما هو فيه، لأن يكون مع امرأة لا ترمقه بنظرات ملؤها الحقد والعداوة.

قال لها: «أنا مسرور لأنك قبلت الدعوة».

مدّت الشقراء يدها عبر الطاولة وأمسكت بيده، وقالت: «أنا مسرورة لأنك اتصلت بي. أنا آسفة لما قرأته مؤخراً عن... حسناً، أنت تعلم عمّا أتكلم!».

كان يعلم... كل من في سان فرنسيسكو يعلم. جاهد نيكولاس كيلا يجعل الابتسامة التي تلوي فمه، تفارق شفتيه. وافترض أنه كان عليه أن يعرف أن الموضوع سيثار. أشاح نظره عنها، ونظر إلى فناء ذاك البناء الفيكتوري. لمَ قرر أن يتناول معها العشاء هنا، من دون الأماكن الأخرى كلها؟ كان

المكان واسعاً، وتناول العشاء في البهو، من شأنه أن يؤمن العزلة لهما. لكن لمَ هنا؟ هل يظنّ أنّ مغازلة امرأة أخرى أمام عيني خطيبته السابقة، سوف يهينها أكثر وأكثر؟ هذا ما يمكن أن تكون عليه مشاعرها لو كانت تحبه. لكنها لا تشعر بذلك نحوه، بل إنها لا تحاول أن تخفي كرهها له!

هل أراد في داخله أن يجعلها تغار؟

تغار؟ أجفل لتلك الفكرة. لكن هذا هراء، مجرد هراء!

ـ أجد أنك حكيم جداً لأنك قررت أن تتابع حياتك بشكل طبيعي.

قالت الشقراء تلك الكلمات وهي تضغط بيدها على أصابعه وكررت: «حكيم جداً!».

ـ شكراً جداً!

ازداد استياء نيكولاس، فلجمه. كان الليل هادئاً وبارداً والعشاء لذيذاً جداً. لف الضباب المكان، فجعل الجلسة تبدو أكثر رومنسية.

ـ كان زواجاً رتيباً لنا جدّانا.

وتابع يقول بنبرة عدم اكتراث: «تقاليد عائلية قديمة.. لم أكن قد التقيت تلك المرأة قط».

ظهرت فجأة أمامه صورة كالي المصعوقة من عناقه المفاجىء، فلم يستطع المحافظة على رباطة جأشه.

ـ ما حصل كان أفضل لكلينا.

شعر بالإثارة تلتهم احشاءه، فشبك أصابعه بأصابع جليسته وقطع وعداً على نفسه: مع أني لا أذكر اسم صديقتي الشقراء، إلاّ أنني سأنسى كل شيء هذه الليلة، وأمرح معها قدر المستطاع. يجب أن يمحو ذلك من رأسي ذكرى عناق كالي المزعجة.

جلست كالي إلى طاولة العشاء المعدنية محاولة تناول طعام أبى أن ينزل بسهولة إلى معدتها. لم يكن ذلك بسبب العشاء، الّذي كان لذيذاً ككل ليلة، بل سبب حديث والدتها وديون عن الخطأ الكبير الّذي اقترفته. كانا يتكلمان عنها وكأنها ليست موجودة معهما على الطاولة.

شعرت كالي بالحنق والإهانة، فأخذت تلوك طعامها بصمت، آملة ألا تنفجر مثل جبل سانت إيلين. هل تحاول أمها وديون إثارة غضبها؟ حتى حين راحا يتكلمان بلغتهما الأم، كانت كالي تفهمها، بما أنها تتكلم اللغتين اليونانية والإنكليزية بطلاقة.

قال ديون بإيماءة حزينة: «عليّ الاعتراف بأن نيكولاس كان فظاً لدعوته تلك المرأة إلى هنا».

ووضع يده على يد زو يؤاسيها: «أعتذر لك عن حفيدي...».

تلعثم قليلاً وطلب الترجمة الإنكليزية لكلمة يونانية. وحين أطرقت زو تفكر بذلك، قالت كالي بغضب: «فسق».

وتناولت ملعقة من السلطة، مشيحة نظرها عن ديون وكررت: «الكلمة التي تبحث عنها هي فسق».

ثم ركزت على طبقها المليء بالسلطة وجاهدت لتحتفظ في ذهنها بصور لتصرف نيكولاس «الفاسق» مع رفيقته، بدلاً من التفكير بما حصل معها اليوم.

ـ حسناً. أعتذر لفسق نيكولاس. فالمجيء بامرأة إلى هنا، على مرأى من كالي، عمل فظ.

فأجابت زو: «حسناً يا ديون، لا يعتبر نيكولاس فاسقاً».

لم تستطع كالي إلاّ أن تنظر إلى أمها وهي تقول ذلك. وتابعت زو تقول وهي ترمق ابنتها كالي بنظرة ذات مغزى: «إنه رجل، والرجال لديهم حاجات».

الرجال لديهم حاجات! كان لوقع هذه الكلمات أثرها المؤلم على كالي. لم تستطع أن تصدق أن أمها قالت ذلك. وضعت شوكتها في طبقها. هذا يكفي! لقد طفح الكيل!

دفعت كالي كرسيها ووقفت.

ـ أنا آسفة يا أمي ويا ديون!

حاولت أن تتكلم بهدوء مع أنها راحت تصر على أسنانها.

ـ تكلما بحرية عن حاجات نيكولاس كما تريدان. لكنكما ستتحدثان عن ذلك من دوني. شبعت... من العشاء.

وخرجت من تلك الغرفة الموحشة متجهة نحو البهو، ثم صعدت الدرج ودخلت إلى غرفتها. حاجات نيكولاس، حقاً! لا بد أن والدتها فقدت رشدها خلال الرحلة التي قامت بها من كانساس إلى كاليفورنيا، لتتفوّه بهذه الكلمات: «الرجال لديهم حاجات!».

لم تستطع كالي تحمّل ذلك! فاستلقت في فراشها وغطت عينيها بيدين مرتجفتين. لم تكن بحاجة لأن يخبرها أحد بأن جدها كريس سيصاب بنوبة قلبية، إذا ما تراجعت عن زواجها بنيكولاس. وبعد ما حصل، كان آخر ما تتمنى سماعه هو التذكير بحاجاته. فبعد عناقه الغاضب، أصبحت حساسة جداً على كل ما يتعلق به.

شعرت كالي بالأسى تلك الليلة. لم تعرف عيناها طعم النوم، إذ انتابها أرقٌ مخيف طوال الليل.

ربّما كان ديون وأمها على حق في أنها اقترفت خطأً كبيراً. لكنهما لم يتكلما عن هذا الخطأ بالذات، على طاولة العشاء. فصحيح أن نيكولاس شاب وسيم وجذاب وذكي ومؤدب، لكنه أيضاً شرير وقاسٍ ومحب للانتقام. وهذه صفات لا ترغب أي امرأة عاقلة، في أن تجدها في زوجها.

خرجت من سريرها وأخذت تذرع الغرفة جيئة وذهاباً، وهي تلعن القلق الّذي يتملكها كلّما ذكرت اسمه. وفيما كانت تروح وتجيء في الغرفة، شعرت بندم مزعج.

ندم؟ على ماذا؟ على ماذا تندم ما عدا مشروع الزواج ذاك؟ غمغمت تقول: «لا شيء!».

لكن ذاك الشعور المزعج أبى أن يتركها وشأنها. وسمعت عقلها الحائر يسألها: «وكيف كان شريراً وقاسياً ومحباً للانتقام؟».

فقالت وهي تواصل ذهابها وإيابها في الغرفة: «ها! من الأفضل التفكير في المرات التي لم يكن فيها كذلك، فهذا يستغرق وقتاً أقل».

وأخذت تسترجع في ذاكرتها الاحداث التي جرت كلها: «لقد جاء بي إلى هنا بهدف الانتقام. إنه يسخر مني دوماً لأنني نبذته. إنه يهينني عبر تجاهل وجودي معه على مائدة الطعام ويتجسس عليّ حين أعمل وكأنه يتوقع مني أن أهرب».

تذكرت عناقه فشعرت بالارتباك والضياع، فاستندت إلى الخزانة، ووضعت يدها على عينيها. وأخذت تحدث نفسها: «كان هذا أكثر أعماله قسوةً وانتقاماً. كان هدفه الوحيد من عناقه هذا إهانتي».

عادت كالي تذرع غرفتها جيئة وذهاباً حتى باب الشرفة. وإذ لم تستطع كبح رغبتها الجامحة في الخروج إلى الشرفة، اندفعت إلى الخارج. استطاعت رؤية الطاولة في البهو بوضوح، إذ كانت الشموع تنيرها. لكنها كانت خالية وبدا أن نيكولاس والشقراء قد ذهبا.

ابتلعت ريقها عدة مراتٍ محاولة طرد الغصة التي شعرت بها في حلقها، وقالت: «حسناً، أنا... سعيدة».

تخيّلت نيكولاس منسجماً مع فتاته، فأجفلت. لكنها عادت تذكر نفسها: «ما يفعله نيكولاس معها لا يعنيني ولا يهمني حتى. لديه كامل الحق في مغازلتها والسعي لتلبية حاجاته، فهو شخص أعزب ويملك الحرية في الخروج مع عدة نساء لينتقي أخيراً شريكة حياته».

لكن حتى ولو كان الأمر كذلك، لقد جاء نيكولاس بصديقته المثيرة إلى هنا ليغازلها على مرأىً من كالي. رأت كالي لوهلة أن ديون على حق بأن نيكولاس تصرف بقسوة، خاصة بعد أن ذاقت طعم عناقه المفعم بالأحاسيس!

أمضت كالي ليلتها تذرع غرفتها جيئة وذهاباً. شعرت بأنها منبوذة فغضبت. استلقت على سريرها ثلاث مرات ولكنها نهضت منه وأخذت تمشي في الغرفة. لم يكن شعورها بأنها منبوذة ناجماً عن تحيّز أمها لنيكولاس، بل عن فكرة أن نيكولاس والشقراء، غادرا المنزل منذ ساعات. لعله الآن في مكانٍ ما من سان فرنسيسكو في انسجام تام مع صديقته.

تنهدت تنهيدة أشبه بالأنين، وأزاحت عنها الأغطية للمرة الرابعة

وخرجت من سريرها. غضبت من نفسها للتفكير برجل يكرهها، فخلعت عنها ثوب نومها ولبست ثوب السباحة تحت عباءتها. وقبل أن تفكر بما تفعله وبتهوّرها، نزلت إلى حوض السباحة وكلها تصميم على طرد نيكولاس من رأسها.

خلعت عباءتها التي وقعت عند قدميها وغطست غطسة تعلمتها في المدرسة. للوهلة الأولى، راحت تلهث. فبالرغم من أن الحوض مسخن، إلا أن حرارته لم تكن تماثل حرارة حمام ساخن. وكان هذا جيّداً! شعرت بالاسترخاء في تلك المياه وأخذت تذرع البركة جيئة وذهاباً في محاولة لمحو صور نيكولاس وفتاته من رأسها.

ـ مرحباً!

سمعت كالي صوتاً عميقاً فيما هي تهم بالقيام بدورة جديدة في الحوض. أربكها صوت نيكولاس، فما كان منها إلاّ أن ابتلعت بعض المياه وبدأت تسعل، ثم أمسكت بطرف البركة وهي تلفظ الماء من فمها.

ـ هل تودّين أن أساعدك؟

هزت رأسها وأخذت تحدق شزراً فيه وعينٌ من عينيها مغمضة. وبما أن المصابيح كانت تضيء المكان، رأته كالي بوضوح. جثا على بعد قدم من حافة البركة، فرأت زر قميصه العلوي مفتوحاً، وقد اختفت ربطة عنقه. كان يحمل سترته بإصبع خلف كتفه، وشعره مشعث وكأنه قام برحلة طويلة في سيارته المكشوفة، أو جليسته على العشاء أمضت وقتاً طويلاً تتخلل بيدها شعره الحريري. لكنه بدا مثيراً، وتمنت كالي لو أنها لا تكترث للأمرين.

حين تخلصت من نوبة السعال، أخذت تتنشق الهواء. هز نيكولاس رأسه وقد تملكه الفضول، فقال: «تسبحين في نصف اللّيل؟».

جعلها سؤاله الساخر والابتسامة التي لوت فمه تخرج من حالة التشوش التي انتابتها. فسألته بصوت أجشّ: «ماذا تظن نفسك فاعلاً؟ كيف تجرؤ على التجسس علي وأنا... وأنا...».

لم تستطع قول المزيد.

فقال لها نيكولاس: «شاردة وحالمة؟».

ومع أن حرارة مياه الحوض معتدلة، إلاّ أن كالي شعرت وكأن جسدها يحترق، وتفاجأت بأن المياه من حولها لم تكن تغلي.

ـ هل تعتقد أنه يحق لك، لأنك مالك المنزل، أن تتسلّل وتختلس النظر إلى الناس.

وضع نيكولاس ذراعه على ركبته ورمقها بنظرة قاسية ثم قال: «في الواقع، ظننت أنك تردّين لي شيئاً».

لم تفهم كالي ما قاله نيكولاس، فسألته: «ماذا؟».

أومأ مشيراً إلى مكان مظلل بعيداً عن نور المصابيح وقال: «كنت أجلس هناك حين خرجت وخلعت عباءتك».

شعرت كالي بقلبها يهبط حتى أخمص قدميها وبشفتيها تنفتحان. وتابع نيكولاس يقول: «ظننت أنك تردّين لي ما غنمته، في تلك الليالي التي أمضيتها وأنت تقفين على شرفتك تشاهدينني أسبح».

لم تفهم كالي لما لم تكن المياه تغلي الآن، إذ كان يجدر بها ذلك. أخذت تنظر إليه مجروحة المشاعر. شعرت بغصة في حلقها وبضغط في أذنيها، وبدأ جسدها يرتجف فقالت: «آه، يا إلهي!».

ـ أعتقد أنّك لم تفكّري بذلك.

ترافقت سخريته مع ابتسامة، فلم تستطع إلاّ أن تجفل. تصوّرته جالساً في الظلام، يراقبها، يفكّر... يفكّر بماذا؟

شعرت بأنها تئن، فأنزلت رأسها في الماء لتبرد وجنتيها الملتهبتين. وحين رفعت رأسها، كان لا يزال واقفاً!

ـ إذا كنت تستمتع بهذا، أعدك أنني سأنتقم!

فانسعت ضحكته وقال ساخراً: «لا حاجة للتهديد آنسة أنجليس. تحضري سوف أسبح غداً ليلاً».

ثم استدار وأشار إلى شرفتها قائلاً: «لا تتأخري».

وهم بالابتعاد. كانت كل خطوة يخطوها بعيداً عنها تزيد من غضبها ومن

شعورها بالمذلة. وبعد أن بلغ الحنق مبلغه منها، صرخت قائلة: «لمَ أنت هنا على أيّ حال؟ ألم يكن موعدك مثمراً كما توقعت؟».

وعضت على شفتها. من أين جاءتها هذه الأسئلة الساخرة؟ هل تود فعلاً أن تعرف ما حصل معه بالتفصيل؟

توقّف نيكولاس ورمقها بنظرة نمت عن استيائه، لكنه لم يجبها. لم يكن يجدر به ذلك. فكالي تعلم للأسف أنّ لا مجال لمنافسة تلك الشقراء. فمن النظرات الخاطفة التي استرقتها، بدا نيكولاس منجذباً إليها كثيراً.

ـ عمت مساءً، آنسة أنجليس.

قال ذلك بصوت أجش، واستدار متوارياً في الظلام.

* * *

٧ ـ الثمرة المحرّمة

لم يتخيل نيكولاس البتة أنه قد يمضي ليله بهذه الطريقة، جالساً على حافة سريره، منحنياً ورأسه بين يديه، يلعن نفسه. بدأ يندم على عطشه الكبير للثأر.

تراءت له صورة وجه كالي، فقال: «هل تعلمين مبلغ الضرر الّذي ألحقته بي؟».

تباً! كان مصراً جداً على الثأر وقد خنق أي مشاعر أخرى إلى أن تبادلا ذاك العناق. كان ذلك مثيراً للارتباك. وهذه الليلة، حين رآها تخلع عباءتها لتسبح، شعر وكأن أحدهم دس سكيناً حاداً في معدته.

تملك نيكولاس مجدداً هذا الشعور حين تذكر، فأخذ يئن ويشتم نفسه. كانت تجربته مع الشقراء فاشلة فحين اصطحبها إلى منزلها، شعر بالرغبة في تركها عند بابه، خلافاً لما خطّطا له.

لم يكن ترك الشقراء عند مدخل منزلها بالعملية السهلة، فقد تمسكت به كالسعال المزمن. ولم يجد أمامه من خيار إلاّ أن يناديها باسم خاطىء. لم يكن بحاجة للحظ لمناداتها، فكل اسم سيختاره سيكون خاطئاً. ما إن ناداها باسم خاطىء حتى تغيّرت ملامحها، فعرف نيكولاس أنه إذا أراد التهرب من إحداهن، عليه أن يدعوها «مابيل» إن كان اسمها «ميندي»، لتتحول في الحال إلى قطعة من الثلج.

www.elromancia.com

ضحك نيكولاس للدعابة. كان خبيثاً الليلة، وجباناً البارحة بعد الظهر في الحديقة.

غمغم يقول وقد شعر بالارتياح من تصرفه: «لمَ لا أجاري التيار؟».

لِمَ لم ينغمس مع الشقراء في بحر المشاعر الّذي ودّت أن يبحر فيه معها؟ لِمَ شعر أن ثمة ما أصاب عقله؟ ما هي مشكلته؟ هل هو متعلق بكالي لأن كل ممنوع مرغوب؟ تماماً كالثمرة المحرمة؟ إذا كان الأمر كذلك، فسوف يرتاح حين تنهي هذه التفاحة اليانعة عملها وتعود إلى كانساس.

لقد تعلم شيئاً من كل هذا، أن الثأر يجب أن يكون قذراً ليشبع رغبة المنتقم.

كانت كالي تعمل بجد وتجهد نفسها لتطرد من رأسها تلك الذكرى المزعجة في حوض السباحة. لكن حتى وهي تجهد نفسها بالعمل، عجزت عن طرد ذاك الكابوس الحي من رأسها.

ما الّذي جعلها تسبح ليلاً في حوض السباحة؟ لم تعتد القيام بهذه التصرفات المتهوّرة. لم يكن قلقها وأرقها بالعذر المناسب فلو بقيت في غرفتها، لكان ذلك أفضل من. . . .

أغمضت عينيها وأخذت تئن. لكن ذلك لم يكن بالتصرف المناسب لأنها تقف عند أعلى سلم تلتقط صوراً لسقف قاعة الاستقبال. وجدت، لحسن الحظ، أن المالكين القدامى للمنزل لم يمرروا فرشاة الطلاء على سقف تلك الغرفة المزخرفة بالجصّ على شكل ورود. وكان ذلك أجمل ما رأته في حياتها، مع أن الطلاء الذي يغطيّه بدا باهتاً بسبب مرور الوقت. وشكرت ربّها لأن ذلك السقف نجا من فرشاة الطلاء ومن طبقات الدهان الصفراء اللون.

حاولت أن تكف عن التفكير بالليلة الماضية وبالسخرية التي رأتها في نظرات نيكولاس. ووضعت الكاميرا على عينها، وكلها تصميم على ألاّ يجعلها عذابه تحيد عن الطريق الّذي سلكته منذ أتت إلى هذا المنزل. سوف تبرهن له أنّها ليست جبانة ولا انهزامية.

وحتى لو وقف كل من في المنزل ضدّها، فسوف تحاول أن تخوض هذه

التجربة وتنهيها بنجاح. بدأت ترى منذ الآن المقالة في مجلة «أركيتا كتشريل دايجست»: (نيكولاس ڤاروس استفاد من خبرة كالي أنجليس، الخبيرة في أمور التجديد. فأعادت أحد أجمل المنازل الفيكتورية إلى ما كان عليه من جمال. كل زاوية في هذا المنزل تعكس ذكرى تاريخ جليل يتلاءم وذاك المبنى التاريخي). ارتسمت ابتسامة حالمة على شفتي كالي وهمت بالتقاط الصورة الأخيرة. نظرت من خلال عدسة الكاميرا، وركزت، ثم قطبت وأبعدت الكاميرا عن وجهها. كانت شباك العناكب تغطي قسماً كبيراً من الصورة. حاولت مدّ يدها لتزيل تلك الشباك، لكنها لم تستطع الوصول إليها. صاحت غيظاً، وحاولت مجدداً مدّ يدها.

وإذ مدت يدها، ومطت جسدها إلى أقصى حد، أخذت توبخ نفسها لعدم التفكير بإحضار ما تستعمله لتصل إلى تلك الشباك، كقلم حبر أو أوراق صحف قديمة.

صرخت تقول وهي تمدّ يدها لتصل إلى الشباك: «إني أضع كل اللوم على نيكولاس. لو لم يكن يزعجني، لما نسيت. . .».

لم تستطع إكمال كلمتها الأخيرة إذ اختل توازن السلم، ووقعت.

رأت كالي صوراً من حياتها تمر أمام عينيها وهي تهوي. وانتهت سقطتها القوية فجأة ورأت السلم يتناثر حطاماً على الأرض. شكرت ربّها لأنها لم تلقَ المصير نفسه، وفتحت عينيها لتجد نفسها بين ذراعين قويتين. أمسكت بهما دونما وعي منها وقلبها يضج بعرفان الجميل لمنقذها. فهو أنقذ حياتها، وجنّبها كسوراً خطيرة في عظامها.

ومضت ثوانٍ قبل أن تدرك كالي أن منقذها هو نيكولاس ڤاروس. وللأسف كان الوقت متأخراً لتمنع عناق الشكر لإنقاذه حياتها. وحين أدركت كالي ذلك، كانت غارقة في عناق حار ويائس.

واستدركت الأمر سريعاً لكن ذراعيها بقيتا تطوّقان عنقه. وقالت: «آه. . أنا، أنا. . .».

ومع أنه كان عناقاً قصيراً إلا أن أوصالها راحت ترتعش وبقي أثر عناقه

الحار مطبوعاً على وجهها الملتهب الخدين.

بدا عليه الاضطراب، فبرزت عضلات وجنتيه بوضوح وأخذ يصر على أسنانه. حسناً، ماذا تتوقع منه؟ شوق وهيام؟ لقد عبر عن المشاعر التي يكنها لها بوضوح.

وأدركت أخيراً أن من يقف أمامها ليس سوى نيكولاس المزعج والكريه.

ـ ماذا فعلت؟

طرحت عليه هذا السؤال وهي تبعد يديها عن عنقه.

ـ رفست السلم؟

اتسعت عيناه وأدركت كالي أن غضبه بدأ يتصاعد وقال يجيب عن سؤالها: «بالطبع، فأنا أهوى رفس السلالم».

بدا شديد السخرية، لكن كالي علمت أنها تستحق ذلك. لقد قام بعمل بطولي، وكان من الممكن أن يلحق بنفسه الضرر. أشاحت بنظرها عنه إلى يديها الملتصقتين بصدره، وكلها ندم على عدائيتها وكبريائها الجريحة.

شعرت بالحرارة في وجنتيها، فعلمت أن الاحمرار علا وجهها.

ـ حسناً، حسناً، أنا أعتذر. لم يكن من داع لهذه الملاحظة!

واختلست نظرة إلى وجهه وتابعت تقول: «أشكرك على... ما قمت به. أعتقد أنّني... أنني لست خفيفة الوزن».

قالت ذلك بتذلل، فلو لم يكن سريع البديهة، لحصلت كارثة.

سألته وقد تملكها الخجل: «هل أنت بخير؟».

أجاب وقد تسارع نبضه وبرزت عضلات فكّه: «سوف أعيش».

ثم تابع يسألها: «ماذا كنت تفعلين فوق، بحق الله؟ تجرّبين عروضاً من السيرك؟».

أشاحت نظرها عنه وقد شعرت بغبائها وأجابته: «كنت أحاول إزالة شبكة عنكبوت لالتقاط صورة».

ـ آه، فهمت!

لم يضعها على الأرض ولم يقل أي كلمة أخرى. شعرت كالي بالتوتر

لوجودها بين ذراعيه، تتنشق عطره. وفيما بقي هو مقطب الجبين، تملكها القلق فأخذت تمرر لسانها على شفتيها ثم تنحنحت وقالت له: «هلاّ وضعتني على الأرض الآن!».

استغرق بعض الوقت ليجيبها.

ـ حسناً!

ووضعها على الأرض فوق الألواح الخشبية.

شعرت كالي أنها ليست على ما يرام، وانتابها دوار واهتياج في معدتها. أشارت إلى كاميرتها التي وضعتها حول عنقها وقالت لنيكولاس: «أنا بحاجة إلى فيلم».

ومن دون أن تضيف أي كلمة أخرى أو تلتفت إليه، خرجت من الغرفة.

أخذ صوت حذاء كالي الرياضي يختفي شيئاً فشيئاً إلى أن لم يعد مسموعاً. لم ينظر نيكولاس إليها وهي تغادر بل فضّل النظر إلى شيء أقل إثارة. أخذ يسرّح نظره في الغرفة، فلاحظ أن السلم نزل كالقذيفة في المكان فكسر الطاولة وألحق ضرراً كبيراً بمصباح كهربائي. أخذ يتجوّل متفقداً تلك الفوضى متأملاً قطع الأثاث المرتبة في زاوية الغرفة، وأخيراً أمعن النظر في كرسي. كان منجداً بالفينيل الأصفر المائل إلى الخضرة ويرتكز على ثلاث أرجل حديدية.

زفر نفساً طويلاً ثم اتجه نحو الكرسي وجلس عليه. أسند رأسه على حافة الكرسي، وأخذ ينظر إلى السقف. كانت الزهور النافرة والنباتات المعترشة تنتشر في كل مكان، فيخيل للناظر إليها أنه في حديقة بريّة.

فقال وهو يغمض عينيه: «هل هذا ما كانت تتوق إليه، التقاط صورٍ لكل هذا؟».

لمَ يشعر نيكولاس بالتعب؟ وهو لم يفعل شيئاً في الأسبوع الماضي سوى النوم وتناول الطعام والسباحة والركض. يجب أن يكون مرتاحاً ومفعماً بالحيوية.

ـ ما الذي أفعله في هذه الفوضى، بحق السماء؟ أنوق لشخص بنصف عقل، إلى المرأة المتقلبة نفسها التي نبذتني؟ هل الكثير من أوقات الفراغ يفقد المرء صوابه؟

ـ الانتقام لذيذ، أليس كذلك؟

عرف نيكولاس صوت جده على الفور فقطب جبينه ونظر إليه. كان ديون يقف في مدخل قاعة الاستقبال، أنيق مبتهجاً. رفع ديون حاجبه الكثيف وقال: «أليس كذلك؟».

شعر نيكولاس برغبة في الكذب والقول إنه راضٍ عن المنحى الذي اتخذته الأمور، لكنه لم يستطع. زفر نفساً عميقاً وانحنى نحو الأمام واضعاً ذراعه على فخذه وقال وهو ينظر إلى الأرض: «ليس تماماً!».

ارتسمت ابتسامة على وجه ديون وصفق بيديه قائلاً: «كنّا نعلم أنا وكريستوس أنكما خلقتما لبعضكما البعض».

رفع نيكولاس رأسه ورمق جده بنظرة إدانة.

تجاهل ديون رد حفيده الصامت وقال له، محاولاً تغيير الجو الساكن الذي ساد المكان: «كن حكيماً يا بال! ضع كبرياءك جانباً! اذهب إليها واعرض عليها الزواج مجدداً!».

لم يستطع نيكولاس تصديق ما سمعه، لم يستطع أن يصدق أن جده تجرأ على التفوه بهذا الهراء. فهز رأسه ووقف ثم قال: «أرى أنك بدأت تفقد صوابك يا جدي».

شعر نيكولاس بالغضب لأنه سمح لامرأة لا تعني له شيئاً، أن تدفعه لمواجهة فرد مهمّ من العائلة. وتوجّه ثانية إلى جده قائلاً: «جدّي، لا تتدخل في هذا الموضوع».

وجدت كالي الملاذ في غرفتها، فاستلقت على سريرها، ويداها ترتجفان لدرجة أنها لم تقوَ على تبديل فيلم التصوير في كاميرتها. شعرت بتأنيب الضمير، فشدّت على غطاء الفراش المطرز. كيف قامت بذلك؟ كيف عانقت نيكولاس ڤاروس هكذا؟

كانت ممتنة لأنه التقطها، هذا صحيح. لكنها لم تكن تعرف أنه نيكولاس. آه، بلى كنت تعرفين! هذا ما ذكرها به صوت ثاقب في رأسها. ومن غيره هنا يملك القوة ليلتقطك؟ كبير الخدم المسن؟ أو ديون السبعيني؟ أو إحدى الخادمات؟ أو أمك؟ نعم، وكأن وزنك لا يزيد عن وزنها بعشرين باوند!

ـ آه، اسكت!

صرخت وقد بدا صراخها كالعويل، ثم تابعت تقول: «لم أكن أعرف أنه نيكولاس فكل ما كنت أفكر فيه هو أنني على وشك أن أغادر هذا العالم!».

فعاد الصوت يكلّمها: «آه، حقاً؟ لم يكن ذاك العناق عناق شكر! بل عكس مدى شوقك إليه، وأنت تعلمين ذلك!».

ضغطت على عينيها المغمضتين، فهذه هي الحقيقة مهما كانت جارحة ودفنت وجهها في غطاء الفراش وصاحت: «آه، يا إلهي...».

ربّما لم تكن تدرك في وعيها أنه نيكولاس، لكن في مكان ما من لا وعيها، علمت أنه هو.

وبما إن نيكولاس سعى من خلال عرض هذ العمل عليها إلى إهانتها، فلا بد أن يكون جذِلاً الآن بعد أن حقق هدفه! لقد عانقته بحرارة ظاهرة! كم هذا مهين!

أخذت تشهق وتجاهد لتتمالك أعصابها. على هذه المسرحية المؤسفة أن تنتهي. لا يمكنها أن تظهر له كم جعلها عناقها المفاجيء والحار تشعر بالعار. شكراً لله لأنها استعادت وعيها سريعاً فكان العناق قصيراً!

قالت تحدث نفسها: «دعك من هذا!».

وصممت على أن تعيد التحكّم بجسدها الّذي يرتعش كورقة في فصل الخريف. لديها أعمال عليها أن تنجزها. إذا واصلت عملها بالوتيرة نفسها، فقد تصل في غضون أسبوع، إلى وضع الخطط الأساسية لتجديد المنزل. وقد تنتهي في فترة أقل من ذلك، إذا ما وصلت ليلها بنهارها. وكلما أنهت عملها بسرعة، كلما تخلصت بسرعة أكبر من تسلط نيكولاس واستراحت

معنوياً... وجسدياً. على أي حال، لن تستطيع الاعتماد على وجود نيكولاس تحت السلم ليتلقفها إذا ما فقدت وعيها وهوت.

لم تكن تنوي تجربة عناقه مرة أخرى. فقد مرت بهذه التجربة مرتين مما سيجعلها تشعر بالأرق لمدة طويلة. لن تستطيع مقاومة عناق ثالث من دون أن تنجرف معه في بحر من المشاعر المتلاطمة وأن تستلم لأحاسيسها الثائرة.

أن تمضي بقية حياتها وذكريات أيامها مع نيكولاس تعذبها، هو أمر يصعب جداً تحمّله، بغض النظر عن الصدمة الكبرى التي قد يولدها فشلها في عملها. كانت تعرف في قرارة نفسها، في ذاك الجزء الأنثوي منها أن معرفة نيكولاس عن كثب قد تعذبها وتهزمها.

لكن القدر سيسخر منها إذ لم يعنِ تقرّبها من نيكولاس الكثير له على المستوى العاطفي. لكن كالي كانت مقتنعة أنه في غمرة حياته المليئة بالقروض المالية، سوف يعتبر غزو قلب المرأة التي نبذته، على أنّه الثأر الأكثر حلاوةً.

لم يكن نيكولاس راضياً عن اضطراره لنقل الرسالة الشفهية بنفسه، لكن ما من خيار آخر أمامه. فالخدم في إجازة تلك الليلة، وديون وزو سارعا لحضور مسرحية في سان فرنسيسكو. لسوء الحظ، لم يكن هناك أحد يبلغ كالي الرسالة غيره، فصعد السلم إلى الطابق الثالث حيث أمضت كالي نهارها في العمل. لم يكن قد رآها ذاك النهار، مما ناسبه جداً. كان بحاجة للابتعاد عن تلك المرأة، فكلما أمضى الوقت بقربها، كلما عجز عن مقاومة جاذبيتها. لم يكن يحبها ولكنه عاجز في الوقت نفسه، عن الكف عن التفكير فيها. وهذا ما جعله يخاف على رجاحة عقله.

أخذ نفساً عميقاً، محاولاً المحافظة على رباطة جأشه وقرع باب أول غرفة نوم.

ـ آنسة أنجليس؟

لم يتلق أي جواب، فانتقل إلى الباب الثاني وقرعه.

ـ آنسة أنجليس؟

لم يتلقَ أي جواب أيضاً فثار غضبه، وانتقل إلى الباب الثالث لغرفة تطل على البحر.

ـ آنسة أنجليس؟

أخذ يصرخ وهو يضرب بكفه بقوة على خشب الماهوغاني، محاولاً المحافظة على هدوء أعصابه.

ـ ماذا؟

سمعها تصرخ من الداخل.

ـ آمل أن يكون الأمر مهماً، لأنك جعلتني أجرح رجلي!

أدار قبضة الباب لكنه لم ينفتح. لذا اضطر لدفعه بكتفه فصرّت المفاصل القديمة، وفتح الباب ودخل إلى الغرفة. كانت الغرفة مفروشة بشكل بسيط بسرير واحد وخزانة صغيرة وكرسي. كانت كالي راكعة قرب الحائط المقابل خلف المكتب البسيط تتفحص ركبتها من خلال فتحة في سروال الجينز الذي تلبسه.

ـ هل الجرح ينزف؟

فنظرت إليه وقالت: «الجراح تنزف دائماً».

حاولت كالي أن ترفع السروال عن رجلها المجروحة.

مشى نيكولاس نحوها وجثا بقربها: «كيف جرحتها؟».

أشارت إلى سكين صغيرة على الأرض قرب أوراق الجدران المنزوعة، وأجابت: «كنت أنزع ورق الجدران، حين أخافني صراخك وقرعك على الباب بعنف».

حين أدرك تأثير مزاجه السيء عليها، أنبّه ضميره. لم يكن الجرح عميقاً، لكنه لم يشأ أن يجعلها تنزف.

ـ ماذا يمكنني أن أفعل؟

ـ بإمكانك الانصراف.

تجاهل ردّة فعلها الفظة ونزع قميصه ثم مدّه إليها: «استعملي هذا».

نظرت إليه مترددة.

ـ إنه نظيف، إذا كان هذا ما يخيفك ويجعلك مترددة.

ـ لكن لا يمكنني أن أنزف على قميص آرماني.

ـ بالطبع يمكنك!

ضغط على الجرح النازف وقال: «أترين؟ الأمر سهل!».

تلاقت نظراتهما، فقال لها: «الجرح ليس عميقاً. ستكون هذه الضمادة كافية!».

نزعت الضمادة عن رجلها وأبعدتها عنها، وقالت: «يمكنك الذهاب. لقد توقف النزيف تقريباً».

ـ اسمعي، جئت إلى هنا لأنقل لك رسالة.

أبعدت الضمادة عنها فعاد ووضعها على جرحها وضغط عليه.

فقالت له متجنبة النظر إليه: «هيا، انقل لي هذه الرسالة».

بعد أن ضغط على الجرح، أزاح الضمادة عنه وارتاح لرؤية الجرح وقد توقف عن النزف. لكن ذلك لم يطرد الاحساس بالذنب الذي شعر به.

ـ قالت لي أمك أن أطلب منك أن تتحققي من الرسائل الصوتية التي وصلتك. فقد نسيت أن تخبرك، حين وصلت إلى هنا، أن ثمة رجل يدعى سيد كلوفير يود أن يلزّمك بمشروع تجديد.

فنظرت إليه كالي وقد بدا التوتر على وجهها، وقالت: «وهل بدا لك الأمر مهماً إلى هذا الحد لتصعد إلى هنا وتخبرني به؟».

ـ لقد بدا كذلك بالنسبة إلى زو.

هزت كالي كتفيها مظهرة عدم اكتراثها وقالت: «حسناً، لكنني مشغولة هنا!».

نظرت مباشرة في عينيه، فبدا واضحاً في نظرتها، أنها بأمس الحاجة لأن يرحل عنها. وهذا ما شعر به هو أيضاً، فهو لا يريد البقاء.

ـ سوف أسهر في الخارج.

قال ذلك من دون أي دافع. وقبل أن يفكر بسبب قوله هذا، وجد نفسه يضيف: «أنا واثق من أن بقاءك وحدك في منزل قديم، لا يخيفك».

وفجأة سمع صوتاً في الرواق وكأن ثمة شخصاً في المنزل. تلا ذلك صوت باب يقفل بشدة، فأجفل نيكولاس ونظر إلى قبضة الباب النحاسية، وقال: «هل سمعت ذلك؟».

ـ المنازل القديمة تخيفني كثيراً.

في الواقع، لم تسمع كالي أي صوتٍ غريب. فكّر في أن الباب قد أقفل، لكنه سرعان ما نبذ تلك الفكرة ووجدها سخيفة. واستدار ليجدها غير موافقة معه، وقالت له: «لذا أنا أعمل في تجديد المنازل، فأنا فتاة أهوى تعذيب نفسي!».

رأى نيكولاس أنه يستحق تلك الإجابة. فلمَ قال تلك الملاحظة السخيفة؟ كان بحاجة فعلاً للخروج من المنزل.

ـ تهانيّ!

ونظر إلى الساعة في يده، فإذا هي تشير إلى حوالى الثامنة. إذا كان ينوي لقاء المتعاقد المسؤول عن الاصلاحات في هذا المنزل، فمن الأفضل أن ينصرف الآن. بعد الموعد يمكنه تناول العشاء في أي مكان، في نادٍ ليلي ربما، أو رؤية عرض مسرحي. أي شيء قد يسلّيه.

ـ عليّ الذهاب؟

ـ للقاء امرأةٍ أخرى؟

كان قد استدار ناحية الباب، لكنه عاد ينظر إليها، حين طرحت عليه سؤالها هذا. بدت وكأنها تستجوبه.

ـ تماماً.

كذب ولم يعرف لما قام بذلك. وتابع يقول: «أنت تعلمين ما يقوله الناس!».

ـ لا، لا يمكنني القول إنني أعلم.

أنزلت سروالها لتغطي رجلها المجروحة وسألته: «ماذا يقولون؟».

تمنى لو أنه لم يفتح ذاك الحديث، وأجابها: «على المرء أن يتمرّن!».

ثم استدار وحاول فتح الباب، لكنه لم يفتح. أعاد الكرة، لكن شيئاً لم

يحصل. كان مقفلاً بإحكام. حاول مجدداً فتحه، لكن محاولاته باءت بالفشل.

سألته كالي وقد ساورها الشك بأن عدم تمكّنه من فتح الباب جزء من مؤامرة مخادعة: «ماذا تفعل؟».

فنظر إليها عابساً: «أرقص السامبا. وماذا يبدو لك أنني أفعل؟».

فنهضت كالي عن الأرض وقالت: «حسناً، إذا كنت ترقص السامبا، فإنها ترقص هكذا».

ثم أشارت إلى الباب وسألته: «إذاً.. إنه مقفل؟».

فنظر إليها وقال: «نعم، أعطينا حلاً يا شارلوك هولمز!».

أخذت تنظر إلى قبضة الباب، لكن النظرات لا تستطيع فتح الباب.

ـ يبدو أن أحدهم أقفل الباب علينا...

وتوقف عن الكلام حين راودته فكرة مضحكة، فالتفت حوله، ثم نظر إلى الباب وقال: «لا مجال...».

ـ ماذا؟

سمع صوت حذائها الرياضي وهي تقترب منه.

ـ لا مجال، ماذا؟

أغمض عينيه وتوعّد قائلاً: «إذا قاما بذلك، فسوف أقتلهما!».

فسألته كالي: «من؟ ماذا تقول؟».

وقفت كالي بجانبه ونظرت إلى الباب، كما لو كانت تتوقع أن ترى ما الّذي أثار غضبه وجعله يقول ذلك.

ـ لقد أقفلا الباب علينا.

قال ذلك من دون أن يعطيها أي تفسير، بما أن الأمور واضحة. بقيت كالي تنظر إلى الباب وقد تملكها التوتر، قبل أن تستوعب ما قاله. وفجأة، اتسعت عيناها ورمقته بنظرة مصدومة. لو لم يكن غاضباً إلى هذه الدرجة، لكان وجد تعابير وجهها الخائفة، مسلية.

ـ هما؟

همست تسأل ذلك وكأن مجرد التفكير بالأمر يعتبر خطيئة.

ـ هما... من؟

فأجابها: «أمك وجدي. لدي شعور بأنهما اتفقا على أن يجمعانا معاً هنا».

تفاجأت كالي لسماع ذلك، وقالت: «لن يجرؤا على ذلك!».

شعر بالألم بعد أن أزعجته ردّة فعلها التي نمت عن كرهها له وقالت: «نعم أنا مستاء أيضاً».

ـ لكن... لكن.

تنفس عميقاً وأخذ ينظر من حوله، ثم قال: «لا بد أن هناك شيئاً يمكنني استعماله كمطرقة لأفتح الباب».

ـ لنقوم بماذا؟

بدت متضايقة من مشروعه، فتوقف ونظر إليها من دون أن يفهم ردة فعلها وقال مستفهماً: «هل هناك من مشكلة؟».

ـ بالطبع هناك مشكلة. لن يمسك أحد بهذا الباب إلا شخص محترف. فعمر الباب مئة عام ولن أسمح لك بأن تضربه بواسطة حذاء ومسمار!

لم يستطع تصديق ما سمعه فقال لها: «اسمعي، المنزل منزلي. أملك كامل الحق في الضرب على مفصل الباب بواسطة حذاء... إذا كان باستطاعي إخراج مسمار لعين... فسوف أفعل!».

ـ لا، لن أسمح لك بهذا.

فقال لها وقد تملكه الشك: «هل تفضلين قضاء الليلة معي هنا؟».

تحوّلت تعابير وجهها العنيدة إلى تعابير خوف. حسناً الخوف، مجدداً! ماذا تظنه سيفعل بها، التهجم عليها؟ تذكّر ما حصل منذ يومين في الحديقة فشعر بتأنيب الضمير. حسناً، لقد أمسك بها وعانقها، لكن هذا لم يكن...

صر على أسنانه وأخذ يشتم نفسه ويلعن تهوره. لم يكن عادة شخصاً مغفلاً ومتهوّراً. وقرر أخيراً في قرارة نفسه، ألا يتعرّض لها... مجدّداً.

ـ آه... لا... بالطبع لا. لا أود تمضية الليلة معك هنا. لكن يجدر بك

www.elromancia.com

أن تفكر بالبعد التاريخي لهذا المنزل. لا يمكنك إلحاق الضرر بالحس التاريخي فيه.

شعر نيكولاس بالإحباط فتخلل شعره بيده وقال: «حسناً، حسناً».

أومأ نيكولاس بحركة نمت عن نفاد صبره، وأشار إلى النوافذ قائلاً: «ما رأيك بالخروج من النافذة؟».

أجابته كالي بوجه كئيب: «فكرة غير صائبة».

مشى في الغرفة متجهاً نحو إحدى النوافذ ليفتحها ويتفحص إمكانيات الهرب. لعل هناك شجرة قريبة وكبيرة، بما فيه الكفاية، لتحمله. لكنه لم ينجح في فتح النافذة، على الرغم من الجهد الكبير الذي بذله، وصاح: «تباً!».

ـ لم ينجح ذلك؟

ـ سوف أحاول جهدي لفتح هذه النافذة!

سمع نيكولاس شهقتها السريعة وزفرتها الطويلة المكتئبة.

بعد محاولات عدة لفتح النافذة باءت بالفشل، قال: «يمكنني كسر زجاج النافذة».

ـ آه، بحق السماء، لا تفكر حتى في هذا! هذا الزجاج أصلي من صنع يدوي! لن أسمح لك أبداً بكسره.

فاستدار نحوها عابساً وقال: «لا تستفزّيني!».

أجابته وقد بلغ الغيظ منها مبلغه: «لدي كلمتان أقولهما لك».

فقال لها مستفسراً: «أليس هناك ثلاث كلمات في (إذهب إلى الجحيم)؟».

ـ نعم، أنت محق. لكن ثمة كلمتين فقط لا غير في (أقفل فمك!).

لم يعرف لما شعر بالبهجة لطبيعتها المشاكسة. لعلها متقلّبة وغير مخلصة لوعودها، لكنها فتاة جريئة!

ـ حسناً آنسة أنجليس، بما أنك لن تدعيني ألمس شعرة من رأس هذه الغرفة التاريخية القيمة، عليك أن تعلمي أننا محبوسان. هل تدركين ذلك؟

زمت كالي شفتيها وأخذت تنظر إلى الأرض.

كانت مسرورة كما لو أنها مراهقة على موعد مع فارس أحلامها. من جهته، شعر نيكولاس بالاضطراب، فهو لم يسبق له أن واجه معارضة امرأة بشأن مشاطرتها غرفة نوم واحدة لليلة كاملة، ولم يكن مسروراً لذلك.

ما الّذي يزعجه ويحبطه في هذه المرأة، ويتركه قلقاً وسريع الغضب؟ تباً لها! بعد دقيقة، سوف تدرك خطورة الوضع فتتوسله لإيجاد مسمار واستعمال حذائه.

ـ حسناً آنسة أنجليس...

قال لها ذلك وهو يرمقها بنظرة ساخرة، وتابع: «بما أن هناك سرير واحد في الغرفة، فما رأيك في مشاطرته معي؟».

***

٨ ـ قالت: «لا»

رمقت كالي نيكولاس بنظرة تقدح شرراً، بعد أن صدمها بسخريته الفظيعة. لكن، ما شعورها الآن حيال مشاطرته الغرفة نفسها، فعلاً!

ـ هذا جيد. أليس كذلك؟

لوت شفتيه ابتسامة ساخرة فعرفت أنه ينوي إغضابها.

ـ مسلٍ جداً!

أرادت أن ترمقه بنظرة ازدراء، لكنها لم تستطع. وبقيت تنظر إليه. كان أشبه بتمثال ملفت للنظر، بوقفته الرائعة وبنطاله الكحلي وسترته. أما كتفاه المفتولتان فجعلتا السترة تبدو وكأنها خيطت له.

لطالما بدا لها قاسي القلب ومستقيماً مثل مدير مدرسة صارم. لكنه حين رأى منظر الدم، بدا مختلفاً. كان أكثر إنسانية، مما بدا لها غريباً! فالدم دمها!

بدا فاتناً بخصلة الشعر المتموج التي تدلت على جبينه وبحاجبيه الكثين اللذين يغطيان عينيه الرماديتين. إنه غريب الأطوار فقد اكتشفت أنه يخفي خلف قناع الشر الذي يضعه على وجهه، خيوطاً من اللطافة.

أخيراً قررت أن تشيح نظرها عنه، واتجهت نحو الكرسي الوحيد في الغرفة.

ـ ديون وماما سيعودان حوالى الساعة الثانية. لذا أفضل أن أجلس هنا وأهتم بشؤوني الخاصة إلى أن يصلا.

ـ سوف نقتلهما حين يصلان، أليس كذلك؟

أجفلتها نكتته فأخذت تنظر إليه شزراً. وجاهدت لتمنع نفسها من

الضحك، قبل أن تجيبه: «أتصوّر أنّ هذا ما سأفعله!».

تحوّلت تعابير وجهه الساخطة إلى تعابير تسلية. وللحظة، اختفى الجانب الغاضب الثائر من شخصيته، ليحل مكانه سحر جاذب، يصعب مقاومته. استاءت كالي من نفسها، فصفقت يديها وجلست تنظر إلى أوراق الجدران الموجودة على السرير.

تنحنح نيكولاس، فأدركت كالي بأسف أن ذلك كان كافياً ليجذب انتباهها إلى وجهه.

أشار إلى السرير قائلاً: «خذي قسطاً من الراحة. لن أتعرّض لك».

ثم رفع يديه معبّراً عن استسلامه: «لقد أمضيت نصف حياتي جالساً في مكاتب، وطائرات ومطاعم لأحضر اجتماعات لا تنتهي».

وغمزها ثم واصل كلامه: «لقد تعلمت أن أنام على الكرسي».

جعلت غمزته نبضات قلبها تتسارع، فأجبرت نفسها على إشاحة نظرها عنه وقالت له: «برافو!».

وضعت رجلاً على الأخرى لكنها شعرت بالألم بسبب الجرح فوضعت الرجل المجروحة فوق تلك السليمة. أخذت تحرك أصابعها بقلق، وهي تنظر إلى زاوية تحمل أحدث ورق جدران، يعود ربما إلى عشرين عام، أو حتى خمسين. حاولت أن تلهي نفسها بالتفكير بعمر ورق الجدران. لم تشأ اكتشاف المزيد من جوانب شخصيته. فوضعت يديها في حضنها وأخذت تنظر إليهما.

وفجأة لف الظلام المكان، فلم تعد كالي قادرة على رؤية يديها أو أيّ شيء آخر. أخذت تحملق في الظلام، وقالت: «أطفأت النور؟».

للحظة لم تسمع شيئاً إلاّ شتيمة.

ـ هذا مسلٍ. أضيء الأنوار وكف عن اللعب.

ـ لكنني لستُ من أطفأها.

ـ هل أنت متأكد؟

تابعت تقول وقد بدا على صوتها الانزعاج: «بالطبع، إنك أنت..».

لكن الكلمات ماتت فجأة على شفتيها حين راودها احتمال آخر: «لا تقل لي إنهما فعلا هذا أيضاً!».

ـ حسناً، لن أقول لك.

هزت رأسها وقد بدأت الرغبة في القتل تتملكها.

ـ هل فقد جدّك وأمي صوابهما؟

لم تستطع صياغة جملها بسبب الغضب العظيم الذي تملكها. فتخللت شعرها بيديها وقالت: «لا، لا يمكنني أن أصدق هذا! هل يعتقدان بأنهما إذا أطفآ الأنوار، فسوف.. سوف».

لم تستطع متابعة كلامها، إذ تراءت لها فكرة مجنونة.

فقال لها نيكولاس: «إليك الخطة! أنا سوف أهتم بذاك العجوز وأنت بأمك».

خلال الصمت المطبق الّذي تلا ملاحظته، أغارت مجموعة من الأفكار الغامضة والمشاعر المبهمة على كالي. سمعت كالي فجأة قهقهة غريبة، وأدركت بعد قليل أنها هي من أطلقها.

لم تعرف بالضبط ما الّذي جعلها تضحك، أهو الوضع الحرج الذي كانا فيه، أو الحيل الغريبة التي لجأ إليها قريباهما لجمعهما، أو خطة نيكولاس التي تقضي بقتل جدّه وأمها. وجدت نفسها تضحك بصوت خافت، وهزت رأسها وهي تقول: «هذا... هذا أمر...».

لكنها لم تكمل جملتها وانفجرت ضاحكة.

أخذت تضحك وتمسح الدمع عن عينيها، وقالت: «أعتقد أنني هستيرية».

أخذت نفساً مرتعشاً وقالت: «يجب أن أكون كذلك، فهذا ليس بالوضع المسلي!».

تنحنحت وهي تحاول جاهدة التقاط أنفاسها والمحافظة على توازنها. كم هي معتوهة لتضحك وهي أسيرة في غرفة مظلمة مع خطيبها السابق الذي نبذته والذي يكرهها؟

كان نيكولاس هناك أيضاً، في مكان ما في الظلام، غاضباً، يقتلع قطعاً غليظة من الخشب. كان من واجبها أن تجعله يتوقّف عن ذلك، لكنها شعرت بالرغبة للقيام بالشيء نفسه.

بدأت ضحكتها تتغيّر، وتحولت إلى أنين. شعرت أنها مرتبكة وحائرة، حين سمعت نفسها تبكي من دون أي سبب ظاهر.

شعرت بغصة من الإحباط الذي انتابها، فراعها ذلك. وقبل أن تتوقف عن ذلك، أطلقت تنهيدةً، فتنهيدة أخرى. أحدثت تلك التنهيدات صوتاً يائساً، فلم تستطع التصديق بأنها صدرت عنها. كيف يمكن أن تشعر بهذا الخليط من مشاعر الخيانة، والبؤس، والغضب، والفرح؟

كرهت نفسها وكرهت عدم قدرتها على السيطرة على نفسها، فقامت عن الكرسي، وهي غير واثقة ما إذا كان ذلك سيساعدها. كل ما كانت تعرفه هو أنها بحاجة إلى أن تتحرك، علّ النشاط الجسدي يقلل من بؤسها.

تقدمت خطوة واصطدمت بحائط ذكوري، فصرخت: «آه!».

كان هذا كل ما استطاعت قوله قبل أن تمتد يدا نيكولاس لتحيطا بها تهدئانها، وتواسيانها بإغراء. أججت لمسته نيران مشاعرها، فبقيت جامدة للحظات، لكن ذلك لم يدم طويلاً، وسرعان ما ارتمت بين أحضانه.

قال وهو يحيطها بذراعيه: «يا إلهي...».

شعرت بحاجتها لأن يأخذها بين ذراعيه، كما لم تستطع مقاومته. ولم تقوَ على الطلب منه أن يتركها وشأنها. كانت تبكي بصمت وقد انتابها دوار، وسمحت لنفسها بأن تلقي برأسها على صدره. انهمرت دموعها، وشعرت بوهن في عظامها، فقد عملت لساعات طوال ولم تنم.

أيام وليالٍ، أسرتها الكآبة إلى درجة الانهيار. وشعرت بالإرهاق حين انحازت والدتها إلى الجانب الآخر كما صارعت لمنع قلبها من الانفجار من الذنب والأسى والثقة المحطمة.

شعرت بأنها وُضعت بلطف على شيء ناعم، فعرفت أن نيكولاس وضعها

على السرير.

همس: «استريحي! حاولي أن تنامي، لقد أجهدت نفسك بالعمل!».

أدركت أن ذراعيها طوقتاه، وأمسكتا به. أخذت تضحك وهي ترتعش، وكانت واثقة من أنه لم ير ابتسامتها. لم تعرف سبب ضحكها، لكنها شعرت أنها قريبة منه الآن. كان كلاهما ضحية للعبة مؤذية. راح يشدها إليه أكثر فأكثر. كان قوياً جداً ورائحته زكية.

قالت له وهي تضع يديها حول عنقه: «أنا آسفة لأني تصرّفت مثل طفل صغير».

دنت منه وتمنت لو تبقى بين ذراعيه إلى الأبد.

همست تقول له: «أتعلم يا نيكولاس، لست بشخص سيء في الظلام».

وأجفلت ما إن قالت ذلك. ولم تشأ أن تفكر من أين جاء هذا الاعتراف، لكنها في مكان ما في دماغها، كانت خائفة.

أجابها نيكولاس بصوت خفيض: «شكراً».

ساد سكون بينهما، ثم لامست أنامله خدها. عندما حصل ذلك، لم تتفاجأ كالي، ولم تشعر بالاضطراب، بل رقص قلبها رقصة فرح وقابلت عناقه بحفاوة.

لم يكن عناق نيكولاس هذه المرة قاسياً وغاضباً، أو سريعاً كما عانقها حين أنقذها.

بدأت المرأة في داخلها تستيقظ وقد تملّكها شغف لم تعرفه من قبل. وشعرت بحرارة جديدة وعنيفة تجتاحها، فأخذت تئن، وكلها شوق! إليه، وإلى العواطف التي يثيرها فيها!

تناهى إلى مسمعها صوت بعيد من داخلها يقول لها: «حمقاء! حمقاء! حمقاء!».

لكنها جاهدت لتجاهله، فيما كان عناقهما يزداد حرارة وشوقاً.

كان عقل كالي يتوسلها أن تتوقف وتتذكر لما دعاها إلى هنا، أن تتذكر هدفه الوحيد وهو إهانتها والحط من شأنها. لكن قربه منها جعلها لا تدرك كل

تلك الأمور.

لعله يكرهها، لكن تصعب مقاومته. كان عناقه أشبه بالنيران والعسل وقربه بهجة خالصة. كان يمارس سحره عليها، وتجاوبت مع رجل يكرهها، ينبذها وينتقدها.

هل أنت ضعيفة إلى هذا الحد؟ سمعت عقلها يحدثها في محاولة أخيرة لإنقاذها من نفسها. هل أنت معتوهة، لا تملكين شخصية؟ لمَ تسمحين لنيكولاس ڤاروس، من دون كل الرجال، بأن يسيطر عليك، وأنت تعلمين أن هدفه الوحيد هو الانتقام؟ ألا تفهمين، قد يعتبر أن تجاوبك هذا تعويض رائع لنبذك إيّاه ليلة الزفاف؟ هل تدركين ما الذي تخسرينه؟ هل ما تفعلينه الآن هو دين تدفعينه لتواصلي حياتك الطبيعية في ما بعد؟ هل أنت مدينة له بذلك؟

هل ينوي نيكولاس أخذ ثأره بهذه الطريقة؟ إنه رجل أليس كذلك؟ وما الأفضل من الثأر؟ لقد جرحت كبرياؤه من جراء نبذها له. لا بد أن الثأر من المرأة التي نبذته سوف يسكن غروره. عندها سيشعر أنه ربح.

هل تودّ دفع دين لا تدين به... باستسلامها لفيض مشاعرها؟

ـ لا!

قالت ذلك ورفعت يديها تدفعه بعيداً عنها. كان قسم منها ينبهها إلى أنها تظلم نفسها، وأنها ستندم على تصرفها وهذا القسم الذكي من دماغها جعلها تعيد التحكم بنفسها وبعواطفها، فأطاعت المنطق وتبعته.

ـ لا!

صرخت ثانية ودفعته بعيداً عنها. قد يفكر بأنها مجنونة، إذ بادلته العناق أولاً، ومن ثم أطلقت صرخات ذعر ودفعته بعيداً عنها. لكن لم يعد هناك خيار آخر. كان هناك قوة دفينة في داخلها مصممة على السير خلافاً لمصلحتها. لكن عليها مقاومة هذا العصيان في داخلها بكل قوتها.

ـ ابتعد عني يا نيكولاس، فأنا لا أدين لك بهذا!

سمعت أنين حنجرته الخفيض. وشعرت به وقد أجفل من كلماتها الغاضبة ونبرتها العنيفة. ابتعدت عنه بسرعة وفظاظة وقالت له بصوت مقطوع

الأنفاس: «أنت جريء إلى حد الوقاحة!».

انتقلت إلى الجانب الآخر من الغرفة بعيداً عنه. ومع أن الظلام كان يلف الغرفة، إلا أنها تمكنت من رؤيته بشكل مبهم.

أخذ ينظر إليها، لا، بل إن عينيه كانتا مغمضتين؟ لم تستطع رؤية ذلك بوضوح.

أخذت تنظر إليه بغضب، وقالت له: «هيا تلذذ بطعم الفوز سيد فاروس، لأنها ستكون آخر مرة تفوز فيها. أما جوابي فهو لا. الرفض القاطع! هل هذا واضح؟ لن تنتقم مني بهذه الطريقة».

لم يتحرك نيكولاس، ولم يتفوّه بأي كلمة.

شعرت كالي بوهن. عليها الجلوس في مكان ما حيث لا تؤثر رائحته مجدداً على مشاعرها. لذا، ابتعدت قدر الإمكان وجلست على الكرسي.

بعد دقيقة من الصمت، سمعت أزيز السرير فأجفلت ونظرت إليه. ثم صرخت به قائلة: «ماذا تفعل؟».

نطقت بسؤالها هذا ثم عضت على شفتها، لم تكلمه؟ لم تكلم ذاك الوحش الفاسق!؟

جلس نيكولاس على حافة السرير ووضع رأسه بين يديه، ثم قال بصوت أجش: «هذا واضح، أتلذذ بطعم الفوز».

كانت الساعات الست التي أمضاها نيكولاس أسيراً مع كالي أنجليس، في الغرفة نفسها، أشبه بالعذاب. لم يكن نيكولاس ينوي معانقتها، لكنها ابتسمت له ولفت ذراعيها حول عنقه، فبدت أشبه بحورية مغرية. فماذا كان عساه يفعل في تلك الحالة؟

شعر بالاضطراب وبالتوق الشديد إليها. ولأنه لم يعتد على عدم التحكم بنفسه، شعر بالخوف من أن يقدم على ما قد يندم عليه لاحقاً.

بدا مضطرباً، وتخلل شعره بكلتي يديه. لطالما كان قادراً على جذب النساء وتركهن. لكن هذه المرأة، المرأة التي كان ينوي نبذها، بقي يراها جذابة ويتوق....

أخذ نيكولاس يتلفظ بالشتائم ويضرب حقيبته المقفلة بقوة انتقاماً. أقفل الحقيبة وحملها عن سريره.

ـ حان وقت العودة إلى العمل.

كان العمل بالنسبة إليه دولارات وسنتات، الأبيض والأسود. كان العمل أرقاماً يستطيع فهمها، أرقاماً تتزايد ولا تجعله يفقد صوابه.

قال يحدث نفسه: «أعتقد أن شهر العسل انتهى، يا آنسة أنجليس».

***

نزل نيكولاس السلم، درجتين درجتين، فوصل إلى البهو حيث فتح له كبير الخدم الباب. لم يعره نيكولاس أي اهتمام، إذ كل ما كان يفكر فيه هو مغادرة المكان في أسرع وقت.

سمع أصواتاً أنثوية تأتي من البهو، فعرف أن كالي وأمها انتهتا من تناول الفطور. أدرك أن كالي سامحت أمها، وهذا ما لم يكن نيكولاس مستعداً لأن يفعله مع جده. لن ينسى أبداً تعابير البهجة التي ارتسمت على وجه العجوز حين رأى شعر نيكولاس المشعث وملابسه المغضنة. فودّ نيكولاس عندئذ لو يرمي بجده من إحدى نوافذ كالي القيمّة. لكنه قاوم تلك الرغبة، وعزم على السفر. فربما، ربما، قد يتمكن من مسامحة ديون على حركاته الطفولية، حين يبتعد عن هذا المنزل مدة شهر.

ـ حسنا، ألست العريس المتزوج حديثاً؟!

نظر نيكولاس إلى صوت لم يتوقعه.

ـ يا لها من مفاجأة!

كان صديق نيكولاس المخلص «لاندون مورس» يقف بالباب، مع رجل آخر يصغره سناً. كان الزائر الآخر، الذي بدا أطول من «لاندون» صديقاً قديماً لنيكولاس منذ أيام الدراسة.

ـ ريس! ريس ويبلي ولاندون! هل أنا في حلم أو في علم؟

أفلت نيكولاس حقيبته من يده واتجه بسرعة نحو الباب يحيي رفيقيه بحفاوة. وصافح أولاً الرجل الأكبر سناً. كان لاندون أقصر بقليل من

نيكولاس، نحيلاً، في العقد الخامس من عمره، بشرته داكنة مثل الزيتون وشعره الأسود والخفيف تتخلله خصل رمادية. كان يرتدي بذلة كحلية اللون وربطة عنق مخططة، يعكسان رغبته في مقاومة التجديد.

قال له نيكولاس: «ظننتك في طوكيو!».

ثم صافح صديقه الذي يرتدي سروال جينز وقميصاً أحمر، وينتعل حذاء رياضياً. لطالما بدا كراعي بقر بدلاً من مستشار مالي.

ـ ريس، أيها الراعي! آخر ما سمعته عنك أنك تدور في باريس.

ثم تابع نيكولاس يقول: «ما الذي أتى بكما إلى هنا؟».

ضحك لاندون، فيما قال ريس: «يبدو لي أن عقل نيكولاس في مكان. ما أعتقد أنك نسيت».

فسأله نيكولاس: «ماذا تعني؟».

ـ لقد دعوت لاندون إلى هنا لأنه غير قادر على حضور زفافك.

رمق ريس نيكولاس بنظرة مرح وتابع يقول: «وبما أنني لم أكن قادراً أيضاً على العودة إلى أميركا لحضور حفل زفافك، قلت لي إنك سترحب بقدومي في أيّ وقت. هل جعلك شهر العسل يا نيكولاس تنسى أن رفيقيك سيمران لزيارتك؟».

كان طول ريس مساوياً لطول نيكولاس، لكنه يبدو أشبه بلاعب كرة قدم أكثر منه بمستشار مالي. وكان شعره أشقر ووجهه أشبه بالصوان الذي يلين حين يبتسم. لم تكن الابتسامة تفارق وجهه. ولطالما أحب نيكولاس في ريس روحه المرحة.

وبما أنهما اتجها إلى عالم المال وأبليا بلاءً حسناً، فقد توطدت أواصر الصداقة بينهما.

ـ لقد التقينا، لاندون وأنا، في المطار وقررنا المجيء إلى هنا معاً، لنستعيد معاً ذكرياتنا القديمة. وددنا ضرب عصفورين بحجر واحد، رؤيتك وتهنئتك!

كان نيكولاس قد نسي تماماً أن لاندون عيّن موعد زيارته هذه منذ أشهر

عدة، وأنه شمل بدعوته ريس أيضاً.

ـ حسناً.

قال نيكولاس ذلك وأشار عليهما بالدخول، لأن الضباب بدأ يلف المكان، وأقفل الباب.

ـ من الرائع أن أراكما مجدداً.

حاول نيكولاس أن يرسم ابتسامة على شفتيه، لكن الوقت والظروف لم تكن مؤاتية البتة.

ربّت ريس على كتف نيكولاس وقال له: «إذاً، أعتقد أن هذه السيدة الجميلة هي كالي ڤاروس؟!».

تبع نيكولاس نظرات ريس، وقد نسي كلياً وجود كالي وأمها، وأومأ مجيباً: «نعم».

ما خطبه؟ لمَ أومأ برأسه؟ من الواضح أن أخبار تركه، عند المذبح، لم تصلهما.

ـ أعني...

فقال ريس: «حسناً، أعلم أنني لستُ أول من هنّأ العروس. ولكن كما يقول أجدادي من الأفضل إنجاز الأمر مع بعض التأخير عوضاً عن عدم القيام به البتة».

ثم اتجه نحو كالي وهنّأها. ومع أن سلامه كان خاطفاً، إلا أن نيكولاس شعر وكأنه استغرق دهراً.

قال نيكولاس: «ما وددت قوله هو لا. لقد ألغي الزواج».

لم يصدق ريس ما قاله نيكولاس، بل ضحك قائلاً: «أعترف لك بأنني أحسدك يا نيكولاس!».

فتنحنح نيكولاس. لكن لاندون تدخل قائلاً لريس: «أعتقد أنه فاتك أمر مهم يا ريس!».

ـ ماذا؟

استدار ريس من دون أن يترك يد كالي وقال: «لا أعتقد أنه فاتني شيئاً».

وغمز كالي.

لأول مرة في حياته، شعر نيكولاس برغبة في ضرب صديقه لجعله يبتعد عن كالي. لكن، لحسن الحظ، قامت كالي بالمبادرة وتراجعت نحو الخلف، منتزعة يدها من يد ريس.

قال لاندون: «لقد قال لنا نيكولاس إنهما ليسا متزوجين».

وسرّح نظره الحائر من كالي المتوردة من الحنق، إلى نيكولاس. يا لها من غبية!

قالت كالي: «المعذرة، علي الذهاب للقيام ببعض الأعمال».

ثم نظرت نظرة خاطفة إلى صديقي نيكولاس وحاولت أن ترسم ابتسامة متكلفة على وجهها وهي تقول: «لقد سرني التعرف إليكما».

بعد ذلك، صعدت السلالم، وكل العيون شاخصة إليها وهي تنسحب.

وبعد أن توارت عن الأنظار، التفت ريس إلى نيكولاس وسأله: «بالله عليك، ماذا فعلت لها؟».

لم يكن نيكولاس مستعداً لأن يتحمّل سؤالاً مماثلاً، لا سيّما اليوم! فزمّ شفتيه وعدّ حتى العشرة، قبل أن يجيب ريس.

سأل لاندون زو وهو يتجول في أرجاء المنزل: «هل أنت والدة كالي؟ بالكاد أصدق ذلك، فأنت لا تبدين كبيرة في السنّ».

زال التوتر عن وجه زو واتسعت عيناها، كما ارتسمت ابتسامة ارتياك على شفتيها وقالت: «لم... لم، شكراً. نعم، أنا زو أنجليس».

فمد لاندون يده يصافحها وقال: «أنا لاندون مورس. لا بدّ أنك والسيد أنجليس فخوران جداً، فلديكما ابنة جميلة!».

مدت زو يدها لتصافحه وقالت: «أشكرك مجدداً».

ثم توقفت عن الكلام وماتت الابتسامة على شفتيها.

ـ أنا أرملة يا سيد مورس. لكنني متأكدة من أنّ والد كالي، كان ليفخر جداً بها، لو كان حياً!

وضع لاندون يده الأخرى فوق يد زو وقال: «هذا الفتى المتهور الذي

تحرش بابنتك، يدعى ريس ويبلي. إنه صديق قديم لي وزميل لنيكولاس وهما يعملان في المضمار نفسه».

فنظرت زو إلى نيكولاس وهي تبتسم وقالت: «هذا رائع. نيكولاس شاب جذاب، لذا لا شك في أن يكون أصدقاؤه رائعين!».

ثم التفتت إلى الجهة الخلفية للمنزل، وقالت: «ثمة قهوة ساخنة في الحجرة الشمسية. هل تودّ شربها معي؟».

ـ بكل سرور، سيدة أنجليس.

علت ضحكة زو في المكان وهما يغادران الغرفة، وهي تقول: «من فضلك سيد مورس، اسمي زو».

ـ أنا لاندون مع الأصدقاء. عليك أن تطلعيني على كل الأخبار، زو. مما رأيت وسمعت لا بد أن هناك الكثير من الأخبار!

ما إن توارى الاثنان عن الأنظار، حتى التفت نيكولاس من الشمال إلى اليمين، وقد بدا الاضطراب عليه. شعر بنظرات ريس المليئة بالشكوك، فالتفت إليه قائلاً: «ماذا؟».

ـ سألتك ما الذي فعلته لتلك الشابة الرائعة؟

جعل افتراض ريس، بأن نيكولاس أزعج كالي أو أذاها، نيكولاس يغضب: «لقد استسلمت!».

دلّت كلماته هذه على نفاد صبره، وتابع يقول: «كان هذا كافياً».

استغرق ريس حوالى نصف دقيقة ليستوعب ما سمعه، وهز رأسه قائلاً: «أنت تمزح!».

ـ نعم، أنا أمزح. الحقيقة أنني تلقيت الصفعة تلو الأخرى.

فأجفل ريس لسماعه ذلك وقال: «هل رفضت الزواج بك؟».

ـ لم ترد زواجاً مدبراً مع شخص لم يسبق لها أن التقت به.

عقد ريس ذراعيه، وكأنه يفكر ملياً في ذلك: «آه! إذاً هي هنا لتحاول التعرف إليك؟».

ـ لا، إنها هنا لتجديد المنزل.

اختلط الأمر على ريس، فاتجه نحو صديقه وقال له: «هل قررت ألا تتزوج بك، فأعطيتها هذه الوظيفة؟».

ـ باستطاعتك أن تفهمها بهذه الطريقة.

نظر ريس إلى صديقه وقد ارتسمت على شفتيه ابتسامة تعبّر عن شكه: «إذاً حسبتك طويلاً أو غير مناسب لها أو متحجر القلب؟».

نظر نيكولاس إلى السقف وقال: «ذكّرني إن سألتك أن تمدحني؟».

التفت ريس إلى السلم حيث توارت كالي وقال: «قل لي، ألا يزعجك حقاً أنها عدلت عن الزواج بك؟».

زمّ نيكولاس شفتيه، وحين استدار رفيقه ليواجهه، رفع حاجبه كإجابة على سؤاله.

ـ حسناً، لكن ألا يؤثر ذلك فيك نفسياً؟ ألا تهتم لأمرها؟

ـ لم أكن أعرف تلك المرأة. لم يسبق لنا أن التقينا.

ـ آه، فهمت.

وأومأ ريس إلى السلم وقال: «إذاً، كل ما يربطك بها هو مجرد علاقة عمل؟».

فأجابه نيكولاس باقتضاب: «تماماً».

بقي ريس يتأمل السلم. وبعد مرور دقيقة من الصمت، لاحظ نيكولاس أنّ صديقه ينظر إلى السلم، كما لو أنه يفكر باللحاق بكالي غير المرتبطة، فسأله: «بماذا تفكر؟».

فاستدار ريس وقال له: «بما أنك لست في شهر عسل، وبما أننا لاندون وأنا في زيارتك، فكرّت في ما إذا كنت تمانع لو أمضينا يومين هنا؟ لنستدرك وضعنا، ليس إلاّ!».

نظر نيكولاس إلى حقيبته. كان على وشك الفرار، وما زال بإمكانه ذلك. نظر مجدداً إلى صديقه الذي لم يزره منذ فترة طويلة. ريس يجعله يضحك، وكان بحاجة لذلك. ولاندون بمثابة أب له. وكل هذا مهم بالنسبة إليه، ليتخلص من مستنقع المشاعر الذي ورطته فيه كالي.

أخذ نفساً عميقاً، وقد بدا عليه الإرهاق، ثم قال وهو غير متأكد من أنه يفكر بصواب: «لا أستطيع...».

وهزّ رأسه ثم تابع قائلاً: «لا يمكنني التفكير بشيء الآن، لكن عليّ القيام بذلك».

لمَ لا يستقبل أصدقاءه القدامى في ملكه الخاص؟ لن يمكث مع كالي في الغرفة نفسها، لذا لن يضطر إلى لعب دور المغفل الذي لعبه الليلة الماضية.

قال أخيراً وهو يبتسم: «طبعاً. فيما نشرب القهوة، سوف أطلب تحضير غرفتين لكما».

فرد ريس: «هذا رائع!».

ووضع يده على كتف نيكولاس ثم أضاف: «قل لي يا صديقي، هل أفهم منك أن علاقتك بكالي هي علاقة عمل فحسب؟».

ـ تماماً.

قال نيكولاس ذلك واستغرب الشعور السيء الذي تملّكه.

ـ جيد، جيد.

نظر نيكولاس إلى صديقه وسأله: «لماذا؟».

فقال له ريس: «كنت أفكر، بما أنك لم تتفق والآنسة أنجليس، وبما أنها لم تعد تريد الطويل القامة، الأسمر والمتحجر القلب، فلمَ لا أتقرب منها أنا؟».

فأجفل نيكولاس وقال: «بما أنني لم أتفق والآنسة أنجليس، تنوي التقرب منها الآن؟؟!».

واستغرب أن يترك ذاك السؤال أثراً سيئاً في نفسه.

ـ نعم بالطبع، فقد شعرت بأحاسيس غريبة حين قابلتها. وأعتقد أنها شعرت بذلك. لذا، وبما أن هذا لا يزعجك، أنوي أن أبني علاقة مع تلك الجميلة.

وتابع ريس يقول: «من يعرف، قد ينمو حبٌ حقيقي بيننا!».

أشاح نيكولاس بنظره عن ريس. لطالما أعجب بطبيعة ريس المتهورة.

كانا شخصين مختلفين تماماً، ولعل هذا ما جعلهما صديقين. كما كان كل منهما ناجحاً في عمله إنما على طريقته. لكن نيكولاس لم يعد يكنّ له هذا الإعجاب الآن، بعد ما قاله، حتى أنه وجد نفسه منزعجاً من صديقه القديم من دون أن يعرف السبب.

ـ لقد قدمت إلى هنا لأتمنى لك زواجاً سعيداً لكن حصل أمر غريب. من يعلم؟ ربما انتهى بزواجي بخطيبتك السابقة المغرية.

ضحك ريس بينه وبين نفسه وهز رأسه قائلاً: «الحياة مسلية، أليس كذلك؟».

رمق نيكولاس رفيقه بنظرة متجهمة وقال: «نعم، إنها لعينة ومسلية!».

* * *

٩ ـ القلب إن هوى . . .

تعرقلت مشاريع كالي، التي تقضي بإنجاز العمل في أسرع وقت ممكن. فكلما رفعت بصرها عن دفتر ملاحظاتها أو نظرت من خلال عدسة كاميرتها، رأت ريس. كان يطاردها في كل مكان وكأنه مراهق متيم بحبّها. وبدا هذا غريباً.

كان ذاك الرجل وسيم المظهر للغاية، ويتمتع بوجه نجم سينمائي، وبجسد أشبه بجسد لاعب كرة قدم متمرّس. بالتالي، لم يكن ينقصه شيء. كما أنه تكساسي الشكل ممّا ذكر كالي بأصدقائها في كانساس، من رعاة الماشية. لكن كالي لم تكن بحاجة إلى عريس متحمّس الآن، كما هو الحال مع ريس.

شعرت بالإحباط، فتثاءبت وجلست على حافة سريرها. لم تنهِ اليوم إلا نصف ما خططت لإنهائه، وكل ذلك بسبب ريس.

لكنها لم تود أن تبدو فظة معه لا سيّما أن نيته سليمة وشريفة. لقد كان بغاية اللطف معها، وهو يلحق بها، يحمل لها معدات الكاميرا، وعينات من ورق الجدران.

نعم، لقد كان ريس بغاية اللطف، وساعدها كثيراً. لكنه من جهة أخرى، لم يكف عن الكلام بل راح يحدثها ويلهيها ويجبرها أحياناً على القيام بالعمل نفسه ثلاث مرات. وكان من المؤسف ألا تستمتع برفقة رجل وسيم ولطيف مثل ريس وبيلي. من الصعب أن تحظى إحداهن برفقة رجل صادق

www.elromancia.com

ومثير مثل ريس الذي كان وسيماً وناجحاً في عمله.

لسوء الحظ، بدت كالي من النساء الضعيفات العقل. والحقيقة المرة هي أنها كانت تشعر بالألم كلما ابتسم لها ذاك الرجل الأشقر. بدا جلياً أن نيكولاس أفسح الطريق أمام صديقه ريس. لقد تركها لصديقه راعي البقر مظهراً عدم مبالاته، وكأنها زوج حذاء قديم.

لم تفهم كالي لما جرحتها معرفة ذلك. ألم تعي بعد أن نيكولاس لا يكنّ لها إلا الرغبة بالثأر؟ إلى جانب ذلك، ربما يجد نيكولاس مسلياً، أن يجعل صديقه يضايقها وهي تعمل. ربما كلما أزعجها ريس، كلما غدا طعم الثأر ألذّ!

شعرت باليأس فغطت وجهها بيديها، لتخفي دموعها وقالت: «آه! يا جدّي كريس. كم كنت غبية لعدولي عن زواج لطالما أردته أنت وديون».

وسقطت على السرير ودفنت وجهها في الوسادة: «لقد كنت على حق. كان نيكولاس ليصبح...».

توقفت عن الكلام. ما الذي تقوله؟ كيف تجرؤ على البكاء لتضييعها فرصة الزواج من ذاك الرجل؟ فهو لم يبالِ بها، بل قدمها لرفيقه على طبق من فضة. هل هي مجنونة لتذرف الدمع على نبذها المتهور له؟ على العكس، عليها أن تكون فرحة الآن ولكن لمَ لم تكن كذلك؟

كفكفت دموعها حين عادت وفكرت في الأمر وصرخت تحدث نفسها: «لا يا كالي، لا تهتمي لأمره! إنّه لا يستحق عطفك. ليس لطيفاً. إنه شخص بارد وحاقد!».

لكن ذاك الصوت المزعج في رأسها عاد يحدثها بطريقة مختلفة. ألم تختبر مدى لطفه معها الليلة الماضية؟ ألم تشعر بـ...

ـ اخرسي أيتها البلهاء!

قالت كالي توبّخ نفسها، وتابعت: «أنت مرهقة ولا تفكرين بمنطق. اخلدي إلى النوم!».

لم تستطع كالي النوم أو هذا ما ظنته، إذ فجأة هبت من منامها مثل

السهم. كان كل شيء من حولها شديد السواد، فلم تستطع معرفة ما إذا غفت خمس دقائق أو نامت خمس ساعات. مدّت يدها المرتعشة إلى ساعتها على الطاولة بقربها فوجدت أنها لا تزال تشير إلى الحادية عشرة والنصف.

صرّت على أسنانها وعادت إلى النوم وضعت ذراعها فوق عينيها وهي تلعن عدم قدرتها على النوم بسلام ولو لساعة. راحت أحلامها تزعجها، فرأت جدها كريس، ولكنه بدا غاضباً. وبّخها من دون أن يترك لها مجالاً للإجابة: أين هو حفيد ابني، الصغير ستيفان كريستوس أنجليس ڤاروس، ذاك الطفل الرائع الذي سيجمع دم العائلتين، ويصبح زعيماً رائعاً.

ازداد اضطراب كالي، فرفعت عنها الأغطية، ونهضت من سريرها. ما الفائدة من النوم ما دامت عاجزة عن ذلك، وكل ما تجده هو مجرد الشعور بالاضطراب والإزعاج؟ ابتعدت عن السرير، وتناولت مبذلها. وبعد أن وضعته عليها، خرجت مسرعة من الغرفة ونزلت السلم. أرادت الخروج إلى حيث الهواء المنعش والبارد. وشعرت بحاجتها لطرد صورة جدها كريس الغاضب من رأسها، وصورة ريس اللطيف، وصورة نيكولاس غير المبالي بها أبداً.

***

لم يسبح نيكولاس لليلتين متتاليتين، لكنه كان بحاجة اليوم للتخلص من التوتر الذي انتابه. كان لاندون وريس قد خلدا أخيراً للنوم. شعر بالحاجة للاسترخاء. لقد سرته زيارة صديقيه، لكنه لم يستطع التغاضي عن ملاحقة ريس لكالي. من جهته، بدا لاندون متيماً بزو، فقد أمضيا ساعات في الضحك والتحدث والقيام بنزهات طويلة سيراً على الأقدام.

خرجت شتيمة من بين شفتي نيكولاس. شعر وكأنه يعيش في أرض سحر، بحيث ما إن تلتقي نظرات شخصين حتى يقعا في الغرام. خالجت نيكولاس الرغبة بالهرب، وبدا واضحاً أنّ هذا الشعور لا يخالج لا ريس ولا لاندون.

كان رفيقا نيكولاس الذكيان يتصرفان وكأنهما مغفلان مفرطان في

تفاؤلهما. فحتى حين اعتذرت كلّ من كالي و زو وانسحبتا، حوالى الساعة العاشرة، لم يكف الرجلان عن الكلام عن لطافة تينك الامرأتين وجمالهما ونعومتهما. كل منهما كان يتحدث وكأن مشاعر الغرام تتملكه.

لطالما وجد نيكولاس ريس متهوراً، ولكن لا ندون؟؟ بقي أعزب مدة طويلاً، لكنه بدا متيماً إلى حدّ كبير بزو.

أي رجل عاقل كان ليفر هارباً مثل ذئب مسعور، بعد أن يلاحظ ذاك التغيير الجذري والهيام الذي تملّك رفيقيه. لم يجد نيكولاس منتصف الليل في ذاك الطقس مناسباً ليركض بمحاذاة الجرف البحري. لذا، فضّل أن يسبح علّه يتخلص من التوتر الذي يضغط على أعصابه.

خلع المبذل القطني الذي يلبسه، وتقدم بخطى بطيئة إلى الحوض. ونظر تلقائياً إلى نافذة غرفة كالي يتفقدها. لكنه وجدها مظلمة، فهز كتفيه غير مبالٍ. ما من سبب يجعلها تقف هناك. لا بد أنها تعبة، بعد أن عملت اثنتي عشرة ساعة اليوم مباشرة من وقت الغداء حتى وقت العشاء. ومن المؤكد أن ريس لاحقها طوال اليوم بالطعام. لاعجب إن زاد وزنها قليلاً!

أجفل نيكولاس من جراء الأفكار التي ساورته. لقد خرج ليقضي على التوتر الذي تملكه، وليس ليزيده. هل كان مجنوناً، هل مرّ إله العشق على هذه القطعة من الأرض، ليعجب الرجلان فيها بالمرأتين؟

وقرر نيكولاس أن يراقب جده ديون ومدبرة المنزل لئلا يكون مصيرهما كمصير صديقيه.

وفجأة، سمع صوتاً غريباً فتوقف. سمع صوتاً بعيداً، لعلّه بكاء خافت؟ بكاء انسان؟ أخذ ينظر بتمعن من حوله ليكتشف مصدر الصوت. كان يرى جيّداً في الظلام. وهكذا وبعد ثوانٍ من البحلقة، استطاع أن يميز امرأة جالسة على كرسي.

لم يجد صعوبة في معرفتها. فمعظم الخدم انصرفوا، ولم يبقَ في المنزل إلا ثلاث نسوة، مدبّرة المنزل وزو وكالي. وبما أن مدبرة المنزل امرأة سمينة وزو امرأة نحيفة، عرف نيكولاس أن المرأة الباكية هي كالي.

فأعاد ارتداء مبذله واتجه نحوها، من دون أن يدرك ما الذي سيفعله حين يدنو منها. لم يعتد على مؤاساة امرأة تبكي، فقليلات هن النساء اللواتي يكين بين زبائنه، لأن استشاراته المالية لا تولد إلا الشعور بالرضى عند زبائنه.

حين أصبح قربها، جثا على ركبتيه، من دون أن يعرف ما الذي سيفعله.

ـ كالي؟

ووضع يده على كتفها. فانتفضت وكأنه ضربها بعصىً وقالت: «آه، يا إلهي!».

مسحت عينيها بطرف مبذلها وقالت له: «ماذا؟... ماذا... تريد؟».

بقي جاثياً بقربها من دون أي حركة.

ـ لقد كنت...

وأشار إلى الحوض.

ـ ... على وشك الغطس في الحوض حين سمعتك...

بدت له كلمة «تبكين» قاسية، وأدرك أنه قد يحرجها إذا ما شعرت أنه رآها في ذاك الوضع الضعيف. فقال مصححاً كلامه: «... هنا في الخارج».

كم هذا واهٍ! شعر نيكولاس بالحاجة لأن يشتم نفسه.

أخذت كالي تنظر من حولها، تبحث عن محرمة وتتساءل ما الّذي قد يحل مكانها. وشعر بالانجذاب نحوها، لكنه لم يعرف السبب. لقد طاردها أحد أكثر العازبين جاذبية طوال النهار، رجل قد تعجب به أي امرأة.

مدّ لها كمّ مبذله وقال: «هيا، امسحي أنفك به!».

نظرت كالي إلى المبذل باضطراب وقالت: «لقد نزفت عليك الليلة الماضية، والآن أرفض أن أمسح أنفي بمبذلك!».

مسحت أنفها بكمها وقالت: «متى سأتعلم أن أحمل معي محرمة؟».

ـ ما الأمر يا كالي؟

عرف أنه لم يفهم النساء يوماً ولكن ذلك لم يضايقه. لم يكن مختلفاً عن ملايين الرجال الآخرين، لكنه هذه المرة، ودّ لو يعرف ما الذي يسبب لها هذا التوتر.

ـ هل أنت مريضة؟

أشاحت نظرها عنه وضبطت مبذلها ثم لفت يديها حول ركبتها. أخذت تحدق في كل شيء ما عدا نيكولاس، ثم هزت رأسها وقالت: «لست مريضة وليس هناك من خطب!».

وتابعت تقول: «لكن المرء بحاجة للبكاء، من وقت لآخر».

ـ لكنني لا أشعر بالحاجة لذلك.

فنظرت إليه وقالت: «لقد قلت المرء».

فسألها وقد بلغ الغيظ منه مبلغاً: «وماذا تحسبينني؟».

ـ لا أعرف يا سيد ڤاروس، لكنني أعتقد أن والدك كان آلة حاسبة، وأمك كتلة من الثلج.

ـ هذا جيّد! لقد جئت لأقدم لك يد المساعدة فإذا بك تنتقدينني!

أشاحت نظرها عنه وعضت على شفتها، ثم أخذت تفتح عينيها وتغمضهما بسرعة، وكأنها تجاهد لتمنع الدمع من أن يسيل.

قالت له: «أنا آسفة!».

التفتت إليه وتعابير وجهها مأساوية. وسالت دمعة على خدها فبدا من الواضح أنها لم تستطع منعها من أن تذرف.

ـ أنت شخصٌ بهوى الانتقاد، وأعتقد أنك تشاطرني الرأي.

جاءت ملاحظتها وكأنها دست سكيناً في أحشائه. وتطلب استعادته لرباطة جأشه لحظات.

ترجّع صدى الكلمات التي قالها ريس ذاك الصباح، في رأسه. بما أنها قررت أنها لم تعد تريد الطويل القامة الأسمر والمتحجر القلب... المتحجر القلب؟ شعر نيكولاس بالارتباك، ولم يستطع إلا الاعتراف بأن ذلك صحيح فهو لطالما اكتسب هذا الصيت.

لقد عرضه نبذ كالي له إلى أقسى مذلة في حياته. لسوء الحظ، لم تكن خطيبته السابقة زميلة عنيدة له في مجال الأعمال، بل امرأة حساسة مبدعة، خسرت شخصاً عزيزاً على قلبها. كانت حزينة... ولا تزال. وماذا فعل منذ

أن التقيا؟ تصرف مثل شخص ماكر وحقود.

ـ أرجوك دعني وشأني!

راودت نيكولاس فكرة عابرة فقال لكالي: «هل قال لك ريس شيئاً ضايقك أو قام بتصرف خاطىء؟».

ـ لا، بالطبع لا. كل ما في الأمر هو أنني أبصرت حلماً و... أزعجني.

ـ حلماً.

تفاجأ نيكولاس لسماع ذلك، فهو نادراً ما تذكر حلماً حلم به، ولم يجعله أي من أحلامه يبكي.

أشاحت نظرها عنه وقالت: «إنه... إنه جدّي كريس. أبصرته في حلمي. وكان مغتاظاً من... من...؟».

تحوّل صوتها إلى صوت أجشّ وتابعت تقول: «في الواقع، من إلغاء الزواج، و... ومن عدم إنجاب حفيد له. كان مستاءً».

صمت نيكولاس لبرهة وأخذ يفكّر في كلمات كالي، إذ حرك ما قالته مشاعره وجعله مرتبكاً. فقال لها وقد وضع يده على رأسها: «اسمعيني يا كالي. لقد كان جدك رجلاً لطيفاً وقد أحبك أكثر من أي شيء. ولن يسعه أن يلومك أبداً لتراجعك عن قرار الزواج. عليك أن تتخلصي من هذه الأفكار».

ولكنها أجفلت، فأشاح ناظريه عنها لأنه شعر بالإحراج. كان طوال الوقت يعاملها بجفاء وحقد، فكيف يتوقّع منها أن تتصرف الآن؟

تنحنح نيكولاس وقال: «أنا لا ألومك».

وأجفل لسماعه اعترافاً متهوراً وغير متوقع يخرج من فمه. لكنه، حين أمعن التفكير في ما قاله أدرك أن ما تفوه به صحيح. ولم يعد مجفلاً فحسب، بل أخذ يهدئها. كان قد تعب من لعب دور الحقود الناقم معها. ولم تعد فكرة الثأر منها ترضيه أو تهمه.

على العكس، جعله عنف تصرفاته يشعر وكأنه... رجل ماكر.

ـ لقد كنت...

وتوقف عن الكلام من دون أن يعي ما يود قوله.

وتابع يقول: «لم تعجبني فكرة الزواج المدبر أولاً. بل وددت لو أنتقي بنفسي شريكة حياتي».

تخلل شعره بيده وأشاح ناظريه عنها، إذ لم يكن معتاداً على أن يتكلم عن نفسه وعن مشاعره علناً. ثم تابع يقول: «من ثم، رأيت صورتك...».

ونظر إلى وجهها ليرى ردة فعلها، وقال: «عندها، وافقت».

فأجفلت كالي ونزلت دمعة على خدها، في حين تابع نيكولاس يقول: «كان زواج والديّ زواجاً بني على الحب، لكنني لا أذكر منه إلا الصراخ. هجرتنا أمي حين كنت طفلاً صغيراً. وبعد ذلك، لم يسمح لي أبي، طيلة حياتي، أن أذكر اسمها. هذا هو زواج الحب! لذا، وبعد أن عشت هذه التجربة المريرة، وجدت أن الزيجات التقليدية قد تكون أكثر نجاحاً».

تدحرجت دمعة أخرى على خدها، لكنها بقيت صامتة. وشعر نيكولاس برغبة قوية في ضمها بين ذراعيه و...

لكنه تمالك نفسه، فقد فسّرت له سابقاً ما تشعر به حيال التقرب منها في الظلام.

ـ أقول لك بصراحة يا كالي إنني أجهل كيفية انتقاء شريكة حياتي المناسبة.

وتابع نيكولاس يقول: «من الواضح أن فكرة الزواج المدبّر لم ترق لك، وقد عبّرت عن ذلك برفضك لي. بالنسبة إليّ، كنت بحاجة إلى زوجة وأولاد. ووجدت أن الزواج المدبّر فكرة رائعة، لا سيّما أنني كنت على عجلة من أمري. أردت عائلة على الفور!».

وتبسم قليلاً ثم قال: «في الحقيقة، تستغرق إقامة العلاقات جهداً ووقتاً، لذا فضلت الزواج المدبّر. ربّما لو التقينا قبل الزواج وتعرفنا أكثر إلى بعضنا البعض، لاختلف الأمر!».

فقالت كالي بصوت خفيض شابه التوتر: «ومن المذنب في ذلك؟».

ـ أنا! أنا من ألغى أي لقاء، ولم أسمح لنفسي...

توقف نيكولاس عن الكلام وأجفل للطريقة الأنانية التي قال بها ذلك.

واستدرك قائلاً: «أقصد، لم أسمح لكلينا باللقاء والتحدث».

كل ذلك بسبب أعماله ومشاريعه، فقال يعاتب نفسه في سرّه: «تخطيط رائع، أيها المعتوه الأناني!».

ثم قال يحدث كالي: «إذاً... لقد حان دوري لأعتذر».

نظرت إليه كالي دهشة من دون أن تجيب، فيما تابع نيكولاس يقول: «أنا آسف. لقد جعلت حياتك أشبه بالعذاب. أنا نادم لذلك».

ساد الصمت بينهما بعد ذاك الاعتراف، وبدت كالي دهشة. تباً! هل هذا هو وقع اعتذاراته؟

بدا وكأن الكآبة، لا الضباب، هي التي تلف المكان. لم يكن من السهل على نيكولاس تقديم الاعتذارات، فشعر بالحزن.

ـ بالنسبة إليك، كان نبذك لي الحل المناسب، كان عليك القيام بذلك طالما أن شكوكاً ساورتك.

أجبر نفسه على الابتسام وتابع قائلاً: «بالنسبة إلي، سوف يكون عليّ أن أختار المنحى المناسب لأسلكه. يجب ألاّ يشغلك يا كالي أمر اختيار شريكة حياتي. لا تفوّتي عليك فرص السعادة، عبر القلق عليّ أو على جدك أو على أي شخص آخر. عليك أن تعيشي حياتك!».

مرّ الوقت في سكون. وأدرك نيكولاس أن لا فائدة من الركوع أمامها كعاشق فاقد الأمل. إذا لم تصدق أنه آسف فعلاً، أو إذا أخذت الأمور منحىً أبعد من أن تستطيع اعتذاراته استدراكه، فما من شيء يمكن القيام به.

وقف نيكولاس ولم يدر لما طبع قبلة على رأسها.

ـ عمت مساءً يا كالي، أعلم أنك ستجدين أخيراً ما تبحثين عنه!

بقيت كالي جالسة على الكرسي، مشلولة الحركة، كما كانت. حتى أن عبراتها سالت بنفس الطريقة التي كانت تسيل بها. أغمضت عينيها وأخذت تفكر في ما حصل، ثم أخذت نفساً مرتعشاً.

هل اعتذر نيكولاس، ذاك الوحش المجرد من الأحاسيس، عن إهماله لها وملاحظاته الساخرة؟ ما الذي دفعه للقيام بذلك؟ هل كان يعني ذلك حقاً،

أو أنه كسائر الرجال الّذين قد يقولون أي شيء ليجعلوا امرأة تتوقف عن البكاء؟

رفعت يديها عن ركبتيها وأسندت ظهرها. ماذا لو عنى حقاً ما قاله؟ ماذا لو كان آسفاً حقاً. أخذت الدموع تسيل مجدداً من عينيها، حتى بللت وجهها.

لقد قام بعمل نبيل، محاولاً أن يريحني من الذنب الذي أشعر به.

عضت على وجنتها من الداخل، وتابعت تقول: «حسناً يا نيكولاس. يمكن أن تكون لطيفاً ونبيلاً...».

انتابها فجأة شعور بالندم، فغطت فمها بكلتي يديها، لكيلا تطلق صوتاً كئيباً.

جعلها اكتشاف أنّ نيكولاس عاطفي وحساس، تشعر بألم أكبر في قلبها، إذ أدركت أن نبذها المتهوّر لذاك الرجل جعلها تخسر رجلاً رائعاً حقاً.

تذكّرت تأكيده لها: «أنا واثق من أنك ستجدين ما تبحثين عنه».

ضربت بكفها على خدها. ماذا لو وجدت حقاً ما تبحث عنه، ولكنه لم يقبل بها؟ ماذا لو كان نيكولاس حبها الحقيقي وقد نبذته عن طيش، قبل أن تعرفه وقبل أن تعرف تينك العينين الرماديتين، وتلك الرائحة وذاك العناق. واليوم، اكتشفت فيه الإنسان الحساس.

ـ ماذا لو؟

راحت تتساءل، خائفة من الحقيقة. ماذا لو!

وجدت كالي نفسها تضحك وكان ذلك جيداً. لم يمضِ سوى أسبوعين على قدومها إلى منزل نيكولاس؟ خلال اليومين الفائتين، اعتادت على وجود ريس الدائم بقربها، الذي يصرّ على التقرب منها. كانت تستلطفه وتجده مسلياً. وجعلها صوت ضحكتها تجفل، فتساءلت منذ متى لم تضحك؟

تباً لنيكولاس ڤاروس! أولاً على مؤامرة الانتقام التي حاكها، ثانياً على ابتعاده عنها، فهو بالكاد تكلم معها خلال هذين اليومين الفائتين. وحين كان يتكلم معها كان يفعل ذلك بلطافة حذرة. رأته يمر في الأروقة، مرّة أو مرتين،

ولكنه على خلاف الماضي، لم يكن يمشي ببطء ولا يلتفت نحوها، ليسخر منها.

لا بد أنها مجنونة، لأنها شعرت بالفراغ. كانت تجد نظراته الساخرة وانتقاداته اللاذعة أفضل من التصرفات المهذبة هذه. راح يتصرف معها بكل تهذيب وكأنها شخص غريب التقاه صدفة.

على المائدة، كان يتحدّث بلطف مع الآخرين، من دون أن يرمقها بأي نظرة. كان يعرف أين تجلس، فيشيح ناظريه دائماً عنها.

شعرت كالي بتعب وإرهاق شديدين، ففركت رقبتها، وجاهدت لتحسّن من حال مزاجها. لقد بذل ريس قصارى جهده لجعل الابتسامة ترتسم على شفتيها. سوف تظهر للسيّد ڤاروس كيف تهتم بمن يحيطها باهتمامه.

أوشكت كالي على إنهاء عملها. بعد يومين أو ثلاثة أيام، سوف تكون بحوزتها كافة الحسابات والمعلومات التي تحتاجها. إنها تتقدم في عملها، وهي ممتنة لذلك. في هذه الأثناء، لم يتوقف ريس عن مطاردتها وهذا ما جعلها لا تفكر بمضيفها المزعج.

ومع أن ريس لم يستطع تحريرها من الندم الّذي كان يضايقها، إلا أنها كانت مصممة على الاستفادة من الاهتمام الذي يظهره لها، لتشغل نفسها عن التفكير بنيكولاس.

بعد يوم عمل شاق آخر، اتجه كل من ريس وكالي نحو غرفتها، لينقل لها كاميرتها وأغراضها.

تمطت كالي بعد أن شعرت بوهن في عضلاتها وقالت وكأنها تحدثه، لكنها كانت تحدث نفسها: «أعتقد أنني سوف أخذ حماماً ساخناً قبل العشاء».

ما إن دخلا غرفتها، حتى اندفع ريس قائلاً: «ثمة العديد من الأشياء التافهة في هذه الغرفة. هل سيحتفظ نيكولاس بكلّ هذه الأشياء القديمة؟».

لدى سماعها كلماته هذه، راحت كالي تعاتبه قائلة: «كم مرة عليّ أن

أكرر لك ذلك؟ إن الاحتفاظ بكل هذه الأشياء القديمة، هو سبب وجودي هنا. أشكر الله لأن محبي الخمسينيات لم يتدخلوا لتغيير غرف الحمام. إذاً يا راعي البقر، كإجابة عن سؤالك، أقول لك نعم، سوف يحتفظ نيكولاس بكل هذه الأشياء القديمة».

وضع ريس أغراض كالي بمحاذاة الحائط، ثم وقف ليواجهها وقال: «حسناً، سأذهب بدوري إلى غرفتي واستحم علني أطفىء نار شوقي إليك».

وغمزها فلم تستطع إلا الضحك وقالت له: «آه يا ريس، أنت كريه».

سار متمهّلاً نحوها. بدا بجينزه الضيق، وحذائه الأنيق وقميصه الأصفر الفاتح اللون، أشبه بتاجر متجول لعطر رجولي. لماذا؟ لماذا لا تتسارع نبضات قلبها حين يدنو منها كما يحصل حين يتقرب منها نيكولاس؟ قد تعطي أي شيء لتشعر بذلك تجاه ريس. ومع أنها كانت تعلم أن ما من مجال لأن ترتبط مجدداً بنيكولاس، إلا أنها لم تشأ أن يأخذ ريس علاقتهما على محمل الجد. فهي لا تريد أن توهمه بأنها تبادله المشاعر، لتتخلص مما تشعر به نحو نيكولاس.

أمسك ريس بمعصم كالي وسألها: «بماذا تفكرين يا عزيزتي؟».

أطرقت كالي وقد فاجأها أن يصل تفكيرها إلى ذاك الحد، وهزت رأسها قائلة: «لا شيء، أنا...».

لم تكمل كالي جملتها إذ انقض عليها ريس وعانقها. دهشت كالي للحظة، ولكن للحظة فحسب. كان عليها أن تتوقع ذلك فما من رجل يطارد امرأة كل الوقت، من دون أن يتوقع منها شيئاً في المقابل.

أمسك بها بقوة، وكأنه خالها ستتهرب منه.

وضعت يديها على صدره، لتعلمه أنّ عناقه يجب أن ينتهي. لكنه لم يجب على طلبها اللطيف. فعدّت حتى الثلاثة، وحين أوشكت على القيام بردة فعل أخرى أقوى، سمعت رجلاً آخر يتنحنح.

أفلتت من قبضة ريس والتفتت نحو مصدر الصوت لتجد نيكولاس يتكىء على الباب. كان قد عقد ذراعيه على صدره، وأغمض عينيه، وبدا أنفه

معكوفاً مثل النسر.

صعقه ذاك المشهد وكأنه رأى الضوء بعد أن كان على خشبة المسرح يمثل في دراما مؤثرة. كانت قسمات وجهه ملفتة للنظر، وتعابيروجهه حذرة. وقد ارتدى لباساً غير رسمي، عبارة عن جينز وكنزة فضفاضة رمادية اللون. ومع ذلك، بدا مثيراً فجاهدت كالي لتكبح رغبتها في الذهاب إليه والارتماء بين أحضانه.

قال بلهجة ساخرة: «آسف لمقاطعتكما. لكنني وددت إخباركما أن العشاء سيكون جاهزاً عند الثامنة. لقد تأخروا في شراء لحم البقر».

ثم نظر إلى كالي وقد رفع حاجبه وقال: «كيف تودين قطعة اللحم الخاصة بك آنسة أنجليس؟».

لم تستطع كالي أن تفهم ما عناه برفع حاجبه أو بتغيير لهجته.

ـ كوك تعلم كيف أحبها. لقد تكلمنا بهذا الشأن البارحة.

ثم التفت نيكولاس نحو ريس وقال له بطريقة تخلو من اللطف: «أعرف ما تحبّ أنت».

ثم ابتعد عن الحائط وأومأ لهما برأسه قائلاً: «أراكما لاحقاً!».

لفتت نظرها ضحكة ريس الخافتة، وسمعته يقول: «نيكولاس رجل مضحك».

وضع يداً على كتفها وقال: «أعتقد أنه بدأ يفهمني».

وضغط على كتفها بحرارة ثم تابع قائلاً: «من الأفضل أن أدعك تستحمّين!».

خرج ريس من الغرفة وأقفل الباب خلفه.

شعرت كالي بالاضطراب والإحباط، فأخذت تنظر إلى الأرض. لم تعبّر عينا نيكولاس عن شيء، لكنها استطاعت أن ترى فيهما ألم الصدمة. كيف استطاع أن يستحوذ على فؤادها بمجرد السخرية منها؟

شعرت بالذنب، ولم تعرف سبب شعورها هذا. ألا تملك كامل الحق في السماح لرجل آخر بمعانقتها؟ وترجّع صدى كلماته حين كانا في الحديقة،

أمام حوض السباحة، تلك الليلة: «يجب ألاّ يشغلك أمر اختيار شريكة حياتي يا كالي!».

يجب ألاّ يشغلها! بذلك عبر لها عمّا يكنه لها!

وقالت تحدث نفسها: «لم أقم بشيء معيب لأخجل منه. نيكولاس، لقد أوضحت لي أنك لا تود الزواج بي بعد الآن».

لكن المشكلة أنها تتمنى ذلك من كل قلبها الآن.

* * *

١٠ ـ عروسان في يوم واحد

بدأ نيكولاس يشعر بالضيق من زيارة رفيقيه المفاجئة عند العشاء الرابع، وأحس أن إقامتهما طالت. دخل نيكولاس غرفة الطعام، فسمع ضحكات تتعالى. لم يلتفت أحد إليه، لذا لم يكن وصوله هو الذي خلق ذاك الجوّ المرح.

كانت زو وكالي والرجال الثلاثة جالسين عند آخر الطاولة المعدنية الطويلة يتبادلون أطراف حديث مثير. لم يود نيكولاس لعب دور المضيف الساحر، ففكر في الاستدارة والانسحاب، لكنه عاد فعدل عن ذلك.

بدأ يضايقه حماس ريس وسعيه للتقرب من كالي. لمَ يصر على رؤية تلك المشاهد الرومنسية؟ لمَ لا ينسحب؟ لكن إذا انسحب، فسوف يكتشف الآخرون الأمر.

قال ديون لنيكولاس بصوت عالٍ: «آه يا پال! كنا قد بدأنا نعتقد أنك لن تشاركنا العشاء».

فابتسم نيكولاس بكل تهذيب وأجابه قائلاً: «لقد فكرت بذلك!».

فصرخ ديون: «ماذا؟».

ـ لا شيء.

جلس على رأس الطاولة التي اجتمع حولها مدعووه، ثم قال: «آسف على التأخير!».

وسألهم بحذر: «ما الذي كان يضحككم حين دخلت؟».

فضحك لاندون وضغط على يد السيّدة أنجليس ثم قال: «كانت زو

www.elromancia.com

تخبرنا أظرف قصة».

فابتسمت زو وقالت: «لاندون مستمع لطيف. ما قلته لم يكن بهذه الظرافة!».

رفع ريس ذراعه وضمها إليه قائلاً: «أنت وابنتك الصغيرة أشبه بالأخطبوط».

فضحكت كالي وقالت: «شكراً لك! هذا شعر محض، يا راعي البقر».

أدرك نيكولاس من مجرى الحديث أنهم لن يكرروا سرد ما كان يضحكهم، فقرر تغيير الحديث.

- جدي! كيف كانت زيارتك لرفيقك القديم لياندروس وعروسه الجديدة؟

قطب العجوز جبينه وقال: «إن الزوجة البالغة من العمر ١٩ سنة، والتي تتزوج من جد عمره ٧٧ سنة، تزوج قبلها ثلاث مرات، يمكن أن تدعوها بأسماء عدة. لن أعدد لك الصفات التي يمكن أن تدعوها بها، فمعظم من يجلس إلى هذه الطاولة يعرف اليونانية، بمن فيهم النساء!».

زاد عبوس ديون، لكنه أحنى رأسه اعتذاراً وقال: «أعتذر من السيدتين!».

ثم التفت مجدداً نحو حفيده وقد عاد يقطب الجبين، وقال: «كل ما يسعني قوله، هو أن صديقي القديم فقد صوابه، وسيفقد ثروته قريباً. لم أجد تلك المرأة راشدة، بل بدت لي جشعة. أفسدها الدلال - الدلال...».

وأخذ يفكر من دون أن يفلح بالكلمة الإنكليزية الصحيحة، فقال كلمات عدة بديلة، باليونانية.

عندئذٍ، تدخل نيكولاس من دون أن يستطيع كبح التسلية لرؤية جده منفعلاً بسبب ذاك الزواج، وقال: «إذاً كانت زيارة جيّدة!».

فقال ديون: «رباه! أنت تضحك الآن، لكنني أحذرك! ثمة فتيات سافلات قد يتزوجنك ليجردنك من مالك فحسب!».

فضحك ريس وقال: «لكنهن يجردنك منه بطريقة مسلية. وما الطريقة

الأفضل لثري عجوز ليصرف ماله؟».

صاحت كالي بريس مؤنبة: «ريس! وهل هذا ما تنوي فعله؟».

فالتفت إليها وغمزها قائلاً: «لا أنوي أن أبقى وحيداً».

استندت إلى الكرسي. كان شعرها الأسود، كسواد ليل حالك، يتدلّى على كتفيها، وشفتاها ملتويتين بشكل مثير. أما عيناها فبلون الخزامى، تنسجمان مع لون وجنتيها الورديتين.

سألت ريس: «حقاً؟ وماذا تنوي أن تفعل لئلا تبقى وحيداً؟».

- أنوي أن أرتبط بفتاة جميلة وأن أبقى معها طيلة الحياة!

فهزت كالي رأسها وابتسمت قائلة: «بحسب معرفتي بك وبوجهة نظرك للحياة التي لا تعرف التعب، لا أشك بذلك أبداً!».

ضغط ريس على كتفيها وقال: «عزيزتي لا أعلم ما الّذي عنيته بكلامك، لكن أعجبني شكلك وأنت تقولينه».

انتاب الارتباك نيكولاس وبدأ شعوره بالضيق يتفاقم، فقال مقاطعاً، بطريقة ساخرة: «نعم، هذا صحيح يا ريس. لقد تخرجت من الجامعة، وما زلت لا تعرف الإنكليزية».

فنظر ريس إلى نيكولاس، مقطب الجبين وقال: «اعلم أنني من تكساس، ونحن لا نتكلم هناك إلا لغة تكساس. أي كلمة فيها أكثر من ثلاثة مقاطع لفظية، لا نقولها. أليس هذا جيداً؟».

ثم التفت إلى كالي وقال لها: «أما بالنسبة إليك يا حلوتي، فسوف أعتبر كل ما تقولينه لي، مديحاً».

فقهقهت كالي وقالت: «أنا واثقة من ذلك! إذا قلت لك إنك مصدر إزعاج وشخص أبله، فستجد طريقة لتعتبر كلامي إطراءً، لأنك بكل بساطة لا تفكر بما هو سلبي».

- شكراً يا حلوتي. لكن لا تقولي لي إنك تجدينني سيئاً، إلى هذه الدرجة!

فهزت كالي رأسها ونقلت نظرها إلى الطبق أمامها، وقالت: «لا».

ثم رفعت شوكتها وأخذت تعبث بالبقدونس الّذي يزيّن طبقها، وتابعت تقول: «أعتقد أنها شيمة أن يكون المرء إيجابياً ومتفائلاً».

اعتبر نيكولاس كلام كالي موجهاً إليه شخصياً وشعر بغصة في حلقه. لماذا؟ صحيح أنه تصرف معها كشخص أبله وعنيد لأسابيع عدّة، لكنه عاملها باحترام في الأيام الأربعة الغابرة. كان إيجابياً معها مئة بالمئة. ألم يقل لها ألاّ تجعل الكوابيس تضايقها، كان ذلك إيجابياً! ما من داع ليعتبر ما قالته موجهاً إليه بشكل شخصي.

نظر نيكولاس إلى طبقه وأمسك بشوكته. تباً! إنه بحاجة للعودة إلى العمل، فقد بدأ شهر العسل العجيب هذا يضغط على أعصابه. لم يشعر يوماً في حياته، بعدم الاستقرار! لطالما كان إيجابياً ولطيفاً مع نفسه ومع الآخرين. ما الذي جرى له فجأة؟ لمَ اعتبر تعليق أحدهم ذمّاً له؟

ـ حسناً، ضقت ذرعاً من تحليل شخصية ريس.

قال لاندون تلك الكلمات، فالتفتت إليه أنظار الجميع. وتابع يقول: «ثمة أمر مهم لا يمكنني إرجاؤه أكثر».

ودفع لاندون كرسيه وانتصب واقفاً، ثم التفت نحو زو فشعر نيكولاس أن لاندون سيقوم باعتراف هام كبير.

أمسك لاندون بأصابع زو، وجثا أمامها على ركبتيه وقال: «بعد الحديث الّذي دار حول تلك الزوجة السافلة، أؤكد لك أنني لست رجلاً ثرياً يبحث عن... طريقة مسلية لأخسر بها ثروتي».

كانت ابتسامة لاندون تعبر عن لوعة حبّه، فشعر نيكولاس بالتعاطف معه.

وتابع لاندون يقول: «كنت راضياً بالعيش كأعزب، أو أنني اعتقدت ذلك. لكن ما إن التقيت بك يا زو، حتى تغيّر كل شيء وبدت لي حياتي فارغة».

وتوقف عن الكلام وقد توّرد وجهه، وبدا أسير أمل. لم يكن نيكولاس قد رأى ذاك الشغف في رفيقه من قبل. لقد بدا المرشد المالي الرصين،

كمراهق حالم، مما أذهل نيكولاس.

وتابع لاندون: «لم يمضِ وقت طويل منذ التقينا يا زو...».

وتوقف عن الكلام وقد ارتسمت ابتسامة مرتعشة على شفتيه، ثم قال: «أحبك وأطلب منك شرف قبول الزواج بي. لم أرغب بأي شيء في حياتي أكثر من رغبتي في الزواج بك، ولم أشعر قط بهذا الشعور الصادق والعميق من قبل».

لفّ الصمت الغرفة. لم يستطع نيكولاس رؤية وجه زو، لأنها تجلس على يمينه، ولاندون على يمينها. ولم يكن يملك أي فكرة عما إذا كانت تنظر إلى لاندون مشدوهة أو ضاحكة أو باكية دموع فرح. ولم يجد نيكولاس أمامه من خيار سوى النظر إلى كالي. فبما أنها ابنة زو، لا شك أنها ستعكس ردة فعل والدتها.

نظر نيكولاس إلى وجه كالي الجميل. في تلك اللحظة، بدت عيناها واسعتين وشفتاها الناعمتين تنمان عن دهشتها، وتوردت وجنتاها. وبعد ثوانٍ قليلة، سالت دمعة على خدها، وأخذت تبتسم.

من جهتها، أطلقت زو صيحة وقالت: «آه... آه، نعم، لا ندون!».

و عانقته بحرارة.

أثارت ردة فعل زو وحماسها الطفولي اهتمام نيكولاس. بدت له أكثر شباباً من ابنتها، ووجد نيكولاس نفسه ينظر مجدداً إلى كالي. كانت تضحك وقد سالت دموعٌ قليلة على خديها. بقيت صامتة وحافظت على رباطة جأشها أكثر من والدتها، لكن الحال لم تكن كذلك حين تراودها الكوابيس.

ـ هذا رائع يا ماما!

خرجت تلك الكلمات من فم كالي، مع أن نيكولاس شعر بأنها ليست سعيدة تماماً. شعر نيكولاس بأنها تفكر بوالدها الذي لم تستبدله بشخص آخر منذ مماته، والذي يجسد بالنسبة لها مثلاً أعلى. قد تعتبر كالي لاندون شخصاً رائعاً، لكنه لن يستطيع أبداً أن يحل مكان والدها الرائع. من جهة أخرى،

كانت سعادة والدتها تهمها أيضاً، لذا لن تلجأ إلى الإعراب عن أفكارها السلبية.

ساورت نيكولاس فكرة عرضية. ربّما يجب على كالي أن تعرب عن أفكارها السلبية تلك، ربّما عليها أن تسمع من والدتها أن أباها مهما كان رائعاً، لم يكن يخلو من العيوب. إذا استمرت كالي في التفكير بتلك الصورة المثالية لأبيها، فلن تنجح في إقامة أي علاقة مع أي رجل. فما من رجل تتوفر فيه تلك الصفات المثالية. ولقاء رجل والتعرف إليه عن كثب، لن يساهما إلا في تفاقم تلك المشكلة. فما إن يظهر عنده أي عيب، حتى تنبذه كما سبق لها أن نبذته ليلة الزفاف. ربما عليه أن يعتبر نفسه محظوظاً لأنها نبذته، قبل أن يقع في غرامها.

أجفل نيكولاس، إذ لم يكن ما قاله صحيحاً تماماً. ألم يقع في غرامها بعد؟

وقف ديون وربت على كتف لاندون، فقطع على نيكولاس تأملاته.

ـ حسناً، حسناً، أنا سعيد لرؤية زو قد وجدت السعادة أخيراً، بعد سنوات من الوحدة، أمضتها في تربية ابنتها والاعتناء بحماها.

ضرب على الطاولة فجعل أطباق الفضة والكريستال تحتك وتصدر رنيناً. ثم تابع قائلاً: «نستحق زو السعادة. اليوم يوم رائع!».

ونهض ريس عن كرسيه وقال: «يا إلهي! لم أتصور أنني سأرى يوماً هذا المشهد! لاندون أيها العجوز».

وخلع ريس عن رأسه قبعة وهمية وأحنى رأسه تقديراً لمبادرة لاندون. ثم التفت إلى كالي وقال: «عزيزتي، لن نترك هذا الزوج يسبقنا!».

وأمسك بيد كالي، فشعر نيكولاس بغصّة في حلقه وأحس أن ثمة اعتراف آخر سيحصل. ولكن. وقع هذا الاعتراف. قد لا يستطيع نيكولاس تحمّل.

جثا ريس على ركبتيه أمام كالي وقال: «أنا رجل قليل الكلام، أيتها الآنسة الصغيرة».

وأمسك بكلتي يديها وعيناه تقدحان تصميماً. ومع أن نيكولاس لم يستطع رؤية وجه كالي، إلا أنه لاحظ ارتباكها.

ـ أول مرة وقعت عيناي عليك، اعتبرتك فتاة جميلة فاتنة، وردة في بستان من الورود. وكنت أعلم أن هذه اللحظة آتية.

شعر نيكولاس بالاضطراب لسماع كلمات صديقه، ورمقه بنظرة باردة.

وتابع ريس يقول: «كالي! لقد جبت كل بقاع العالم، وتعرفت إلى العديد من النساء. لكنك، أيتها المرأة الساحرة، جذبتني كثيراً. وأنا حاضر لأضع حداً لسجلي الأسود وأودّع عزوبيتي... إذا قبلت أن تكوني زوجتي».

لم يُسمع في الغرفة سوى لهاث كالي الناعم. أخذ نيكولاس يراقبها عن كثب. هل الصدمة أم الرعب هو ما بدا عليها؟ أخذ يفكر في الأسباب التي قد تحول دون قبولها، ولكنه لم يعرف لما راودته هذه الأفكار.

لقد كان ريس أعزّ أصدقائه. وشعر أنه خسيس وهو يأمل أن تأتي إجابة كالي سلبية. ولكن ماذا يعنيه إذا قبلت أو لم تقبل بريس؟ ربّما كان هذا الأمر يعنيه منذ شهر، لكنه لم يعد يعنيه الآن.

شحب وجهها لبرهة، لكن سرعان ما تورّدت وجنتاها مجدّداً.

كان ريس يبتسم متفائلاً كعادته. أما نيكولاس فأحس بالاستياء من نفسه بسبب أفكاره الملتوية. تباً لك! ريس هو أقدم وأقرب صديق لك! تمنّ له الحظ السعيد، أيها الغبي البائس!

للحظة، تحركت شفتا كالي، من دون أن تتفوه بأي كلمة. نقّلت نظرها عبر الغرفة وأخذت تتفحص الوجوه المترقبة. وحين التقت عيناها بعيني نيكولاس، حاول هذا الأخير إخفاء غضبه وإحباطه عبر التظاهر بالحشرية والترقب. كانت عيناه واسعتين تومضان بالضوء المعكوس فيهما. للحظة، بدت نظرتها وكأنها ثاقبة ولكنها تغيّرت سريعاً. وفي اللحظة التالية، نظرت إلى ريس وقالت: «أنا... أنا..».

ـ هذه أفضل طريقة لأقول لك أحبك، أمام الجميع، يا حلوتي.

شعرت كالي بالضياع والصدمة، فعضت على شفتها السفلى، وأغمضت

عينيها لثوانٍ، فلم تستطع إلا رؤية وجه نيكولاس في ذاكرتها. حين نظرت إليه، لم يظهر أي انفعال. نظرت إلى ريس الذي بدا وسيماً وقوياً، وتعابير وجهه يشوبها القلق، فأشفقت عليه.

لم تستطع إهانته أمام الجميع، فهذا بغاية القساوة. وهناك ما يكفي من الوقت لترفض في ما بينهما.

بالكاد أومأت كالي برأسها وهمست: «نعم».

بدت تلك الكلمة أبعد ما تكون عن الإيجاب، وشعرت كالي وكأن شخصاً آخر قالها... شخص لا تعرفه. شعرت بالضياع، وكأنها في مكان لم تألفه، وكأن أحدهم جرّها، رغماً عنها، للعب الدور الرئيسي في ميلودراما غير واقعية. شعرت بالحزن وأوشكت على البكاء، فاختارت أن تسير مع التيار. كان قول نعم، أسهل ما يمكنها فعله في تلك الحالة. إنه قرار جبان وتفاجأت كالي لذلك. وها هي الآن نادمة عليه.

ترك جواب كالي أثراً على نيكولاس أشبه بريح شتوية، تصفر في أرض فارغة، فشعر بتصلب روحه. بقي جالساً يبتسم، رافضاً الاعتراف بالألم الذي اعتصر قلبه.

قفز ريس من الفرح وأحاط كالي بذراعيه، وأخذ الآخرون يضحكون ويهتفون بتعابير التهنئة. سارع كل من لاندون ووالدة كالي لتهنئة الزوج، فضمت زو ابنتها بين ذراعيها وعانق لاندون ريس.

صفّق ديون فرمقه نيكولاس بنظرة اتهام من طرف عينيه. كان ديون يصفق وينظر إلى نيكولاس وكأنه يقول له: «أترى ماذا كلّفتك كبرياؤك يا پال؟ الآن أصبحت عروس شخصٍ آخر!».

لم يكن مزاج نيكولاس يسمح له بأن يتقبل لوم جدّه، فنهض عن كرسيه ودار حول الطاولة ليهنىء صديقه. مدّ يده يصافحه وقال له: «تهاني يا ريس».

ثم التفت إلى كالي، فبدت له جذابة بوجنتيها الحمراوين وفمها الرائع.

أمسك ريس بيد نيكولاس وشكره، لكن حماس ريس منع نيكولاس من أن ينظر إلى وجه كالي. جاهد نيكولاس ليبتسم ابتسامة طبيعية وقال: «حين

قلت لك إنك ستجدين ما تبحثين عنه، لم أكن أعلم أنه سيكون بهذه السرعة!».

كانت كالي خجلة من نفسها إلى درجة أنها لم تستطع الوقوف لترى صورتها في المرآة. كيف قالت نعم لريس، حتى ولو كان الهدف عدم جرح كبريائه؟ لم تكن تنوي الزواج منه. جاء جوابها المتهور بقبول الزواج منه ردة فعل غبية وغير عقلانية على لامبالاة نيكولاس.

لم تنم طيلة الليل، بل بقيت تتقلب في فراشها، وهي تشعر باشمئزاز من نفسها. وعلى الرغم من تعبها، أيقنت بما عليها فعله. عليها تصحيح غلطتها. إن لا مبالاة نيكولاس لا تغيّر واقع أنها ليست مغرمة بريس. إنه رجل رائع يستحق أكثر من المشاعر التي يمكن أن تعطيه إياها. قد يجد يوماً الزوجة المناسبة له، الزوجة التي تعشقه وتقبل بعرضه عن قناعة. فهو لا يستحق أن يشوب حياته الزوجية الحزن والفشل.

في الصباح التالي، كان ريس ولاندون يتحضران للرحيل بعد أن مددا إقامتهما أكثر مما كانا ينويان. فأرادت كالي تصحيح ما اقترفته من خطأ قبل مغادرتهما.

التفت بريس في البهو وشكرت الله أنه وحيد. همست تقول له: «ريس».

التفت ريس ناحيتها فيما كانت تنزل السلم، فآلمتها الابتسامة العريضة التي ارتسمت على شفتيه.

ـ صباح الخير يا حلوتي!

وفتح ذراعيه لها وكأنه يتوقع منها أن ترتمي بين أحضانه، لكن كالي أمسكت بيديه واصطحبته من منتصف البهو، إلى زاوية منعزلة تحت السلم. قالت بعد أن قطع الغضب أنفاسها: «صباح الخير!».

وانحنى ليعانقها، فتجنبته وقالت له: «انتظر يا ريس، عليّ أن أقول لك شيئاً!».

فتردد ريس وبقي يبتسم، مع أنه لاحظ الحذر في عينيها. بقيت كالي تتفرس فيه للحظة، ثم قالت له: «أنت تعلم ما الذي سأقوله، أليس

كذلك؟».

تلاشت ابتسامة ريس قليلاً وقال: «لم تعطني أي تلميح يا عزيزتي!».

فارتسمت ابتسامة حزينة على شفتيها وقالت: «بل أنت تعلم».

ضغطت على أصابعه وتابعت تقول: «ريس، في ما يتعلق بالليلة الماضية...».

خفض ريس حاجبيه الشقراوين ولكنه بقي يبتسم وقال: «ما الأمر؟».

فقالت كالي بصعوبة: «أنا... أنا أشعر بأن ذلك رهيب. لكن.. حين قلت نعم، أعتقد... أعتقد أنني لم أفكر جيداً».

توقفت قليلاً، ثم تابعت تقول: «لقد أثارني عرضك. فأنت رجل، رجل... إذاً، حسناً، أنا...».

هزت كالي رأسها محاولة إيجاد الكلمات.

أفلت ريس يديه من بين يديها، وأمسك بها من كتفيها وقال: «تباً يا حلوتي! هل هذا يعني أنك تتراجعين عن كلامك؟ هل ترفضينني؟».

فعضت كالي على شفتها السفلى وقالت: «أنا آسفة جداً. أنا... اعتقدت أن رفضي الليلة الماضية، كان ليحرجك».

لاحظت كالي أنها كانت تنظر إلى صدره، فأجبرت نفسها على النظر إلى وجهه، وقالت له: «أرجوك... هل ستسامحني يوماً؟».

ماتت أخيراً الضحكة على شفتيه، ولاحظت الجمود في عينيه. بعد برهة شابها التوتر، ابتسم ريس، لكن ابتسامته كانت متكلفة، تفتقر إلى الصدق.

ـ أعتقد أنني استطيع مسامحتك يا كالي. سوف أتحمّل ذلك.

وضغط بكلتي يديه على كتفيها ثم تركها، قبل أن يضيف:

ـ إذا استطاع نيكولاس التغلب على الذل الذي تعرض له من جراء نبذك له، أمام كل سان فرنسيسكو، فأعتقد أنني محظوظ لأنك تخليّت عني بهذه الطريقة.

استحالت ابتسامته المرتبكة إلى ابتسامة ناعمة، وقال لها: «احترسي يا عزيزتي! أنت لا تتفكين تنبذين الرجال، وهذا سيجعل الناس يعتقدون أنك

إنسانة مزاجية!».

شعرت كالي أن ريس سيتغلب على ذلك أسرع منها.

وأخذت تفكر في كلامه، فيما تابع يقول:

ـ أتمنى لك حياة سعيدة يا كالي! آمل ألا تندمي على ما فعلت، لأنني لا أعرض الزواج على امرأة سوى مرّة واحدة!

أجفلت كالي للصفعة القاسية التي وجهها إليها ريس بكلامه، لكنها لم تستطع لومه، فقد جرحت كرامته.

ـ أنا آسفة!

أشاحت بنظرها عنه إلى يديها، وتناهى إلى مسمعها صوت حذائه وهو يخرج من حياتها.

وجدت كالي أن حضورها على طاولة الفطور سيسبب الازعاج لها ولريس، ففضلت الانسحاب وأسرعت تتسلق السلم. عند وصولها إلى منتصف السلم، ترجّع في ذهنها صدى كلمات قالها لها ريس: (إذا استطاع نيكولاس التغلب على الذلّ الذي تعرض له من جراء نبذك له، أمام كل سان فرنسيسكو؛ فأعتقد أنني محظوظ لأنك تخليّت عني بهذه الطريقة). أمام سان فرنسيسكو كلها؟ جمدت كالي فجأة، وهي تفكر بشعور نيكولاس آنذاك واضطراره لإعلان الغاء خطيبته الزفاف أمام حشد من الأقطاب والشخصيّات.

تجهمت وجلست على درجة من السلم. لقد تأثرت كثيراً لموت جدها، فلم تفكر حتى في ما قد يسببه عدولها عن الزواج، ليلة الزفاف. لقد قال لها إنها جعلته موضع سخرية الناس، لكنها لم تفكر بذلك جدياً.

لا بد أن ذلك ذكر في الجرائد وعلى التلفاز!

لا بد أن الجميع علم بذلك. أجفلت كالي ووضعت رأسها بين يديها. كيف استطاع تحمل ذلك.

ـ نيكولاس، أنا آسفة! لا شك أني جرحت مشاعرك! أنا متفاجئة لأنك لم تقتلني!

ـ هل قلت شيئاً سيدتي؟

رفعت كالي رأسها لترى كبير الخدم إلى جانبها. شعرت فجأة بالحاجة للاعتذار من نيكولاس، على الالم الكبير الذي سببته له. فتنحنحت وقالت: «بلكين، هل خرج نيكولاس لتناول الفطور؟».

أرادت أن تعتذر منه، ولكن ليس أمام الجميع. ماذا لو كان وحيداً في غرفته؟

ـ لقد تناول الفطور منذ وقت طويل يا آنستي.

نظرت كالي إلى الوقت، فوجدت أن الساعة تشير إلى السابعة.

ـ لقد تناوله باكراً!

تكلمت كالي بصوت عالٍ، ونهضت عن الدرجة، ثم أطرقت تنظف بنطالها، علّها تنفّس شيئاً من غيظها.

ـ عليّ... عليّ التحدث إليه. أين هو؟

ـ لقد ذهب آنستي.

ـ حقاً؟

تملّك كالي شعور سيء لدى سماعها ذلك، ولكن لماذا؟

ـ متى سيعود؟

فرد كبير الخدم بلهجة عادية: «لن يعود آنستي».

لم تستطع كالي استيعاب تلك الكلمات.

ـ لن... لن يعود؟

فقال وهو يبتسم ابتسامة متكلّفة، من دون أن يعي أنه يمزق قلب كالي بكلماته: «لا، آنستي».

تابع يقول: «طلب مني السيد نيكولاس أن أعتذر لضيوفه، وأن أقول لهم إنه اضطر للسفر إلى زوريخ للقيام بأعمال عاجلة».

ساد صمت ثقيل في ما بعد. لم تستطع كالي تصديق ما سمعته وشعرت بالحزن والارتباك إلى درجة أنها لم تستطع صياغة ما راودها من أفكار. ما الذي يعنيه بقوله إن نيكولاس لن يعود؟

فسألته وهي تشعر بالحاجة للمزيد من الإيضاح: «لن يعود؟... أبداً؟».

ـ نعم، أعتقد ذلك آنستي. سوف تكون الشقة التابعة لهذا المبنى جاهزة لدى عودته. وقد طلب مني إقفال المنزل كتحضير لتجديده، ما إن تنهي عملك.

ترددت كالي وشعرت بالارتباك. أبى عقلها أن يتقبّل الحقيقة. إذا كان نيكولاس لن يعود، فهي لن تراه مجدداً.

أجفلت، رافضة تقبل الحقيقة.

ـ هل تودّين شيئاً آخر آنستي؟

أفاقت كالي من تأملاتها وأخذت نفساً مرتعشاً، ثم هزت رأسها وقالت: «لا... لا، شكراً بلكين. لا شيء».

توارى كبير الخدم من دون أي صوت، أو أن كالي لم تسمع صوت وقع أقدامه بسبب تشوش أفكارها، بعد معرفتها تلك الحقيقة المرة.

لقد غادر نيكولاس.

* * *

www.elromancia.com

١١ ـ للمرة الأخيرة

نزلت كالي السلم، مشدوهة ومرتبكة. لقد رحل نيكولاس. وحين وصلت إلى الباب الرئيس للمنزل، خرجت إلى الضباب الذي بدا أكثر برودة وكثافة وكآبة من ذي قبل. نزلت درجة، ووقفت فجأة لتجد نفسها في الرواق تحدّق في السحاب الكثيف والكئيب.

لقد رحل نيكولاس.

قالت تحدث الضباب: «رحل ولن يعود أبداً».

وأحاطت نفسها بيديها لتتفادى قشعريرة البرد التي بدأت تشعر بها. شعرت بالبرد، برد أشدّ وأعمق من هواء الصباح المنعش. أحست بفراغ وعياء في قلبها، فأخذت ترتعش بشدة. لقد خرج نيكولاس من حياتها من دون أن يقول «سررت بمعرفتك»، أو حتى أن يودعها.

أحسّت كالي بالوحدة وبعدم اكتراث نيكولاس، فأخذت تحملق في الفراغ، محاولة أن تعرف سبب شعورها بالتعاسة. في الشهر الماضي، رفضت عرضي زواج تقدم بهما رجلان رائعان. شعرت أنها منبوذة، لأن نيكولاس رحل.

تخللت شعرها بيديها وقالت في سرّها: «لا تقعي في غرامه يا كالي! لا تكوني حمقاء!».

أنهت كالي أعمالها في أقل من أسبوع. وحين عادت مع والدتها إلى كانساس، شعرت بأن قلبها مفطور. خلال الأشهر القليلة التي تلت، راحت تزور منزل نيكولاس من وقت لآخر، لتتفقد أعمال الترميم. أحبّت ذاك

المكان الرائع، وكانت في كل مرة تعود إليه، تحبّه أكثر وأكثر إذ بدأ جماله الفريد يظهر من جديد، تدريجياً.

لم ترَ نيكولاس أبداً، لكنها كانت دوماً تشكره، في قرارة نفسها، لإعطائها فرصة ترميم ذاك المنزل. وبعثت مجلة «أركيتاكتشريل دايجست» بمصور ومحرر، لتصوير المنزل وكتابة مقالة عنه، وهكذا بدأ يذيع صيتها شيئاً فشيئاً.

وعلى الرغم من كل ذلك، أبى قلب كالي أن يعرف السعادة. حتى في حفل زفاف والدتها من لاندون، لم تشعر كالي إلا بومضات خاطفة من الفرح. اعتادت على فكرة وجود لاندون في قلب زو، وتمنت لوالدتها السعادة، فلاندون شخص جيد، مثل والدها، بحسب قول زو.

لم تعرف كالي كم كان والدها لا يكترث بالادخار للمستقبل. ولم تشأ زو أن تخبرها عن فشل والدها وعن الديون التي خلفها لهما، بعد مماته. لم يكن لاندون يملك عيوب ستيفان أنجليس هذه، بحسب زو. لم يكن زوجها الجديد كاملاً، ولم تتوقع منه ذلك، لكنه يفكر كثيراً قبل القيام بأي شيء، ويتصرف بمحبة ولطف مع زو، كما أنه أسعدها فشعرت كالي بالسرور لأن والدتها وجدت من يحبها، مجدداً.

في شهر تشرين الأول، وخلال رحلتها الأخيرة إلى المنزل، نظرت كالي من إحدى النوافذ، فرأت ديون يمشي في الحديقة باتجاه المنزل. شعرت بالارتباك وتمنت لو كان نيكولاس برفقة جده.

ـ ديون!

نادته وسارت عبر الحديقة نحوه. لم تكن تملك الوقت للتظاهر باللامبالاة، فهي مشتاقة لنيكولاس. إنها مشتاقة إليه، قلباً وروحاً. وعلى الرغم من كل محاولتها لمحوه من رأسها، لم تستطع. لقد أحبت الرجل الذي نبذته يوم زفافهما، أحبته من دون أمل. وإذا كان نيكولاس لا يزال ينوي تجديد علاقته بها، فستقبل على الفور!

قال ديون بنبرة ودودة: «مرحباً! سررت بلقائك!».

كان يرتدي كالعادة بزة داكنة اللون وقميصاً أبيض.

شعرت بنبضات قلبها تتسارع، فأمسكت بيد ديون. هل نيكولاس موجود هنا؟ هل يراها؟ هل تبدو جميلة؟ لقد تفاجأت كثيراً لرؤية ديون، فخرجت مسرعة نحوه، من دون أن تفكر في التحقق من مظهر شعرها أو من أحمر شفاهها.

قالت له مبتسمة: «أنا مسرورة جداً بلقائك ديون».

لم تكن تعي كم اشتاقت لذاك الرجل العجوز، مع أنه أمضى معظم الوقت يعنّفها بلطافة.

ـ تبدو بصحة جيّدة!

فضحك ديون وقال لها: «أنت يا عزيزتي، تبدين جميلة كالعادة».

ثم نظر إلى المنزل وقال: «يجب أن أعترف بأنك قمت بعمل رائع. المنزل رائع حقاً. لا بد أن والدتك فخورة بابنتها الناجحة!».

توردت وجنتاها من إطرائه، وقالت: «أنا مسرورة للتغيّر الذي طرأ على هذا المنزل».

ـ وأمك، كيف حالها؟

لقد حضر ديون زفاف لاندون وزو الذي أقيم في شهر آب، فيما اعتذر نيكولاس. ودعا هذا الأخير العروسين لزيارته في شقته، بعد عودتهما من شهر العسل في اليونان. وقد زارا نيكولاس لدى عودتهما، لكن زو لم تقل شيئاً عن تلك الزيارة، سوى أن نيكولاس بصحة جيدة، إذ أدركت زو أن خطيب كالي القديم هو جزء من ماضيها.

للأسف، كانت تلك الحقيقة. أسفت كالي كثيراً لتغيّب نيكولاس عن زفاف لاندون ووالدتها. وشعرت أنه يرفض حتى إمكانية إقامة علاقة صداقة بينهما. لكنها غطت ألمها بابتسامة متكلفة.

ـ أمي ولاندون في غاية السعادة. إنهما يبنيان منزلاً جميلاً في واشنطن الآن.

ـ آه، هذا جيّد.

ـ لقد وجها إليك دعوة لتأتي لزيارتهما. كم من الوقت ستبقى هنا؟

فأجابها مبتسماً: «الوقت الكافي لأقوم بزيارتهما».

ـ هذا جيد. إذاً سوف تبقى في كاليفورنيا وقتاً كافياً لتعيش في منزل نيكولاس، ما إن يتم إكماله. وهذا الأمر وشيك. آمل... آمل أن يستمتع حفيدك بالعيش هنا.

أرادت أن تسأله: أين هو؟ هل أتى معك؟ لكنها لم تتجرأ. لذا حاولت أن تجعله يرد على اسئلتها الصامتة.

فقال لها ديون بوجه متجهم: «اعتقدت أنك علمت بذلك».

ـ علمت بماذا؟

ـ بأن نيكولاس لن يعيش هنا.

تفاجأت كالي لذلك. فجلّ ما كانت تتمناه، هو أن ترى نيكولاس يستمتع بالعيش في ذاك المنزل بعد أن تنتهي من عملها الشاق فيه. وقد جعلها افتراضها هذا تشعر بالسعادة لأن نيكولاس سيقطف ثمار عملها الدؤوب، كما جعلها تشعر بالأمل. كانت تفكر دوماً أنه سيتذكرها ما إن يتجول في المنزل، فيرفع سماعة الهاتف ويتصل بها.

ـ سوف يهب نيكولاس هذا العقار إلى جمعية أميركية تعنى بمكافحة السرطان. ما إن ينتهي العمل في هذا المنزل، حتى يتم عرضه في المزاد. وسيعود ربحه إلى الأعمال الخيرية!

ـ آه...

تفاجأت كالي لسماع ذلك فتنحنحت: «لا... لم أسمع بذلك».

حاولت جهدها أن تبدو سعيدة: «إنه هدف نبيل. سوف تتمكن عائلة محظوظة من الحصول على هذا المنزل».

جاهدت لتمنع الاضطراب من صوتها. كم كانت غبية حين حلمت بأنها ستتقاسم ونيكولاس يوماً هذا المنزل ويربيان أولادهما فيه.

سمعت صوتاً يحدثها في داخلها قائلاً: «لقد نبذته وخرج من حياتك الآن. لن تعيشي هنا أبداً. لن تنجبي أولاداً من نيكولاس! إنسي الأمر!».

مسحت دمعة سالت على خدها، وتمنت ألا يكون ديون قد لاحظها، ثم قالت: «لمَ قرر ألا يعيش هنا؟».

فأجاب ديون: «منذ ابتاع المنزل كهدية زفاف لك... لم يعد يحبّه!».

فاجأها كلامه، فصمتت وأخذت تحدق فيه.

بدا ديون قلقاً عليها وسألها: «ما بك؟ هل أنت مريضة يا عزيزتي؟».

فهزت رأسها وقالت: «لي؟ نيكولاس ابتاع هذا المنزل... لي؟».

تفاجأ ديون لرؤية كالي مشدوهة، فقال لها: «نعم. ألم يقل لك ذلك أبداً؟».

جعلتها هذه الحقيقة الجديدة تشعر بثقل ذنبها أكثر.

ـ لا، لم يذكر لي هذا قطّ.

لمَ لم يذكر ذلك؟ لمَ لم يُغرِك بقوله إنه ابتاع لك هذا.. هذا المنزل التاريخي الرائع...

أخذت تفكر بذلك، وكادت الدموع تسيل من عينيها من شدة التأثر، لكنها جاهدت لتكبحها، وحاولت المحافظة على رباطة جأشها.

ثم قالت: «كان هذا عملاً كريماً».

فقال لها ديون: «نعم نيكولاس رجل رائع!».

ومع أن ديون قلل من شأن هدية نيكولاس، إلا أن كالي وجدتها رائعة. ووجدت نفسها تضحك فجأة، فقلقت وخافت من أن تكون قد أصيبت بهستيريا. كيف يمكن لها أن تشعر بالفرح والكآبة في آن واحد؟

ابتاع نيكولاس المنزل لها وليس له. ولقد أحبت المنزل قبل أن تدرك أنها أحبّت الرجل. ولكن تهورها جعلها تخسر الاثنين معاً.

لم يعد يحبه. تردد صدى هذه الكلمات في رأسها، فشعرت بالأسى، وأخذت تضحك بصوت عالٍ.

بدا ديون قلقاً وسألها: «هل من خطب؟».

ـ خطب؟ ماذا يمكن أن تكون المشكلة؟

وألقت كالي التحية على ديون ثم قالت له: «عليّ الذهاب!».

وانسحبت بسرعة قبل أن يستحيل مرحها إلى نشيج.

غطت ألوان الخريف كانساس في شهر تشرين الثاني فتساءلت كالي عن مظهر كاليفورنيا في ذاك الوقت. هل الطقس بارد أم أن الطقس مشمس والخضرة تغطي المكان؟ كانت لتعرف ذلك لو قبلت الدعوة التي وصلتها للتو. لم تتفاجأ حين تلقت دعوة للحفل الذي سيقام، عند وهب منزل نيكولاس بشكل رسمي إلى الجمعية الخيرية.

أخذت تتأمل في بطاقة الدعوة وتفكر. لا بد أن نيكولاس سيحضر ذاك الحفل. ولكن هل تتجرأ على الذهاب إلى هناك ورؤيته؟ قد يتضمن الحفل عارضات أزياء قد يتحرشن به. هل ستتحمل رؤية ذلك؟

ـ لا!

واتجهت نحو الهاتف. أرادت الاعتذار عن حضور الحفل فطلبت الرقم الذي دوّن على البطاقة للاعتذار.

أجابها صوت أنثوي ناعم، فبلّغت كالي اعتذارها عن حضور الحفل، وأنهت المكالمة.

مشت نحو سلة المهملات بجانب مكتبها فرمت فيها بطاقة الدعوة، وقالت: «لن أعرض نفسي لهذا الذلّ مجدداً!».

وعادت إلى كرسيها وأخذت تتفقد مواعيدها. كانت على موعد مع زبونين بعد الظهر. حان الوقت للتخلص من ذكرى نيكولاس، فأمامها الكثير من الأعمال التي عليها إنجازها.

أليس هناك أغنية تقول إنها لا تمطر في كاليفورنيا؟ حسناً، تلك الأغنية ليست صحيحة، إذ كانت تمطر. قطعت كالي الطريق الخاصة للمنزل، وهي تشعر بالندم لعدم حملها مظلة. ومع أن المطر لم يكن غزيراً، إلا أنها بدت أشبه بكلب مبلل، لدى دخولها المنزل.

راحت تركض بصعوبة، بسبب فستانها الكريب والسترة الملّونة فوقه، اللذين اختارتهما بعناية. قالت تحدّث نفسها: «ماذا لو رآك هكذا والماء يسيل منك وشعرك ملتصق برأسك؟».

توجّهت مسرعة نحو سلم الفناء، وهي غاضبة من نفسها على القرار الذي اتخذته في الدقيقة الأخيرة.

ـ لا تدعيه يراك!

لم تعرف كالي كيف عادت وسحبت الدعوة من سلة المهملات. لا بد أنها قامت بذلك بنفسها، إذ وجدتها بعد الظهر، بين أوراق برنامج عملها.

وجدت نفسها منذ أسبوعين تسأل عن مواعيد الرحلات من كانساس إلى سان فرنسيسكو. وحجزت بطاقة ثم انتقت بعناية ثوباً لحضور الحفل.

وصلت في تمام الساعة التاسعة مساءً من منتصف تشرين الأول. ركنت سيارتها المستأجرة في مكان ما، واتجهت نحو المنزل الذي لطالما أحبّته. تمنّت كالي لو تلقي نظرة خاطفة على نيكولاس ڤاروس فحسب، فهذا سبب مجيئها. رؤيته ولو للمرة الأخيرة.

عند المدخل، رفعت كالي شعرها الرطب عن وجهها، وأعطت الحارس بطاقة الدعوة المجعدة، فنظر إليها مبتسماً. بدا المنزل دافئاً ويعج بالزوار. كانت الأضواء تنتشر في كل أرجائه، وتجعله يبدو أكثر جمالاً. أما المدعوون فمن نخبة سكان كاليفورنيا. جاؤوا جميعاً للاحتفاء بهذه المناسبة الرائعة وللمزايدة على تلك التحفة الفنية التي أخرجتها يدا كالي. هكذا اعتبرته كالي، في قرارة قلبها المتألم.

بقيت كالي بعيدة عن الأضواء، تبحث عن نيكولاس. أرادت رؤيته ولو للمرة الأخيرة، لتنسحب بعدئذ بهدوء وتعود إلى كانساس. ولن يعرف أنها جاءت لحضور الحفل.

كانت الفرقه الموسيقية تعزف مقاطع موسيقى رومانسية عذبة. وكانت مجوهرات المدعوات تتلألأ في المكان. سمعت أصواتاً تثني على عملها الرائع وقدرتها على إعادة البعد التاريخي للمنزل، فشعرت بالرضى.

وتناهى إلى مسمعها صوت ضحكة عميقة فقفز قلبها من مكانه. لن تستطيع أن تنسى ضحكته أبداً. والتفتت نحو مصدر الصوت، فرأته. رأت عينيه الرماديتين وفمه الصارم الجذاب وابتسامته الساحرة. بدا طويل القامة،

رياضي البنية، في زي السهرة الرسمي الذي يبرز عرض كتفيه.

لم تستطع تمالك نفسها، فأخذت تقترب منه، بما فيه الكفاية، لتسمع حديثه مع المدعوين. ذكّرتها نبرة صوته ولهجته بالوقت القصير الذي قضياه معاً، فترقرقت عيناها بالدموع.

أدركت كالي أن عليها الرحيل قبل أن تبدو حمقاء، فخرجت من المنزل تحت المطر. لوهلة، أخذت تشكر ربها على المطر. فلولاه، لاستغرب عمال الاستقبال القطرات المالحة التي تسيل على خديها، ولعرفوا أنها لا تنهمر من السماء.

قادها رجل لطيف إلى سيارتها، فوجدت أن أحدهم قطع عليها بسيارته أي فرصة للخروج. فاقترح عليها مرافقها أن يذهب لمناداة صاحب السيارة، لكن كالي هزت رأسها مؤكدة أنها ليست على عجلة من أمرها، وأن باستطاعتها البقاء إلى أن يغادر صاحب السيارة. كان موعد رحلتها في الصباح الباكر، والسماء تمطر بغزارة.

تركها المرافق ما إن جلست خلف المقود وودعته بابتسامة لطيفة. أدركت بعد لحظات قليلة، أنها غير قادرة على البقاء في مكانها لشدة قلقها واضطرابها. كانت حزينة للغاية فخرجت من سيارتها، فقد شعرت بحاجتها للمشي، أكان الجو ماطراً أم لا.

أكان الجو دافئاً أو أنها مخدرة، فاقدة الحس، لم تكترث لذلك. كل ما كانت بحاجة إليه هو الدوس على إحباطها وتوقها، لذا قطعت المرجة باتجاه الحقل الذي يقع بين المنزل والجرف الصخري.

بلّلها المطر وغرق كعبا حذائها الطويلان في التراب الناعم.

أوشكت على الوقوع، فتقدم أحد خدم الموقف لمساعدتها، فأومأت له بأن كل شيء على ما يرام.

قطعت مسافة طويلة، لتجد نفسها أخيراً بعيدة عن المنزل، بحيث لا يزعجها أي خادم، نظرت من حولها فرأت المنزل خلفها إلى اليمين. كانت الأضواء الذهبية تتوهج من النوافذ، وعلى الرغم من صوت المطر، استطاعت

سماع صوت الموسيقى الناعمة التي تعزف. في مكان ما هناك، يراقص الرجل الذي تحبّه، امرأة أخرى.

تملّك اليأس كالي، فأخذت تمشي بلا هدف. وبعد لحظات، رأت الجرف الصخري أمامها. لم تصل يوماً إلى هذا الجرف العالي، وتساءلت عن السبب. لا بد أن المنظر رائع هنا في يوم مشمس. تذكرت ملاحظة نيكولاس حين قال لها إنه يجب أن تنظر من خلال النافذة وليس إلى النافذة فحسب؛ وابتلعت غصة في حلقها. لكانت الأمور مختلفة الآن، لو أنها تصرفت بطريقة مغايرة!

وبالرغم من سيل المطر، استطاعت سماع صوت الأمواج المتكسرة على الشاطىء. ترجع صدى تلك الأمواج في جسدها، فانسجم مع صخب نبضات قلبها. أرادت أن تصرخ لتعبر عن سخطها لضياع الفرصة التي اتيحت لها، باكتشافها متأخرة حبّها لنيكولاس. مشت من دون أمل في الليل وتحت المطر. ومع أن الظلام حالك، إلا أنها استطاعت أن تبصر. توقفت فجأة، وأخذت تحدق أمامها. فكرت في أن تجلس على اللوح الخشبي المعلق جيداً بجذع الشجرة.

حزينة ويائسة، جلست على المقعد الخشبي وأخذت تتأمل البحر. تخيلت أنها ترى أضواءً تنعكس في الماء، لعلها أضواء سفينة مبحرة، أو ضوء نجوم الليل. لا يهم! أخذت تدفع اللوح برجليها وجلست عليه، وهي تشعر بالقلق الشديد. أدركت أن المطر خفّ، فنظرت إلى السواد الحالك فوقها وقالت: «جدّي كريس، أنا أكبر بلهاء، على وجه الأرض».

وفجأة لم تعد تشعر بحركة الماء، فقد امتدت ذراع قوية وأحاطت بخصرها. ذهلت كالي واستدارت لتجد نيكولاس مبلل الشعر والحاجبين. وقف قبالتها، وخلع سترته ليضعها بلطف على كتفيها.

أجفلت كالي وقد بدت الدهشة عليها، فيما أمسك نيكولاس بالحبل وشد المقعد الخشبي من الماء.

قال لها: «تبدين فاتنة».

وابتسم ابتسامة بدت صادقة.

لا شك أن ما يجري ليس صحيحاً ولم تستطع تصديقه. لكن أين ذهبت السخرية التي عهدتها في كلامه ونبرته؟ لعل الظلام الحالك منعها من ملاحظة ذلك، وصوت الأمواج المتكسرة منعها من سماع ذلك.

ـ كيف... كيف عرفت أنني هنا؟

ـ وهل تظنين أنك تستطعين دخول غرفة ما من دون أن أشعر بوجودك؟

شعرت بالضياع وأحست وكأن كثرة المياه أفقدتها صوابها. ما الذي يقوله؟

حاولت تغيير الحديث فقالت محاولة أن تبدو ديبلوماسية: «إن وهبك المنزل تصرف جدير بالثناء».

كان حقاً عملاً جديراً بالثناء بالنسبة إلى الجميع.. ولكن ليس بالنسبة إليها. فمن أعماق قلبها، ودّت لو تصرخ في وجهه: «كنت أتمنى أن يكون هذا المنزل عشنا الزوجي، فيلعب أبناؤنا في أرجائه بحرية».

وضع نيكولاس يده على يد كالي وقال: «ماذا لو ابتعت لك منزلاً آخر؟».

ـ آه، هذا... هذا...

قطعت لمسته حبل أفكارها، وبقيت مشدوهة ومضطربة.

ـ إذا ابتعت لك منزلاً آخر، هل ستجعلينه يبدو بهذه الروعة أيضاً؟

شعرت كالي بالارتباك وقالت: «روعة؟».

سمعت نفسها تردد تلك الكلمة، فاستدركت قائلة: «... سوف يستغرق هذا وقتاً طويلاً!».

شعرت أنه يضايقها فلم تستطع السماح له بذلك. لم تجرؤ على الكشف له، كم سبب لها ذلك من عذاب.

ابتسم لها نيكولاس ابتسامته الساحرة. رأت أنه من غير العدل أن تبدو بهذا المظهر المبلل وكأن كارثة في البحر جرفتها. لكن ابتسامة نيكولاس بدت ساحرة وكأنه خُلق ليبتسم لامرأة بللها المطر، وقد أثر بها منظره.

ـ هل تقبلين الزواج بي يا كالي؟ اعتبريني أي رجل يطلب يدك!

لم تستطع كالي تصديق ما سمعته، فنظرت إليه مشدوهة. هل كان يعلم أن هدوءها هو مجرد قشرة هشة؟ هل أدرك أن كلامه سوف يكسر القشرة وتنقسم هي إلى مليون قطعة؟ هل هذا ما ينتظر أن يراه؟ هل حان حقاً الوقت ليثأر؟ أضايقته إلى هذا الحد بنبذها له؟

ـ تصرفك هذا قاسٍ جداً! كيف تتجرأ على الاستهزاء بي؟

ورفعت شعرها المبلل عن وجهها وحاولت المحافظة على رباطة جأشها مع أن مشاعرها كانت مضطربة.

ـ من فضلك إرحل.

ماتت الابتسامة على شفتيه وقال: «لا يمكنني ذلك».

وأمسك بيديه الدافئتين وجهها وقال: «لا يا كالي، لن أرحل قبل أن تعطيني جواباً على طلبي الزواج بك».

بدت نظرته حزينة وناعمة كلمسته، وتابع يقول: «لعلي أكثر الناس غباءً، لكن عليّ الاعتراف لك أو لن أسامح نفسي أبداً».

توقف قليلاً ثم أضاف: «وقعت في غرامك منذ اللحظة التي رأيت فيها صورتك يا كالي. وأعتقد أنني غضبت جداً حين نبذتني، لهذا السبب.. لأنني أحببتك. لم أكن أعرف ذلك حينها، أو أنني حاولت إقناع نفسي بأنني لا أحبك. ولكنني كلما حاولت أن أكرهك، كنت أجد نفسي أحبك أكثر وأكثر».

وتابع نيكولاس يقول: «لقد جرحتني حين عرفت أنك لم تعودي تريديني. وحين قبلت طلب ريس، لم أستطع تحمّل ذلك. ولم أعرف أنكما انفصلتما أنت وريس إلا حين جاء لاندون وزو لزيارتي».

اقترب منها أكثر وهمس قائلاً: «لقد قطعت وعداً على نفسي، أنك إذا أتيت الليلة، فلن أدعك ترحلين».

فتحت كالي شفتيها مشدوهة وتقدمت نحوه متعثرة الخطى والتصميم بادٍ على ملامحها. لكنها سمعت صوتاً في داخلها يحذرها قائلاً: «استمعي إلى

هذا الرجل، قبل أن تأتي بأي تصرف أحمق آخر. لا تصدّيه!».

وتابع نيكولاس يقول: «قبل أن تجيبي، فكّري بالأمر جيداً. لأنك إذا قبلت هذه المرة، فلا مجال للتراجع. أعرف أن لا ضمانات أقدمها لك. ولكن كلما عزمت على أن أكرهك، كنت أجد نفسي أحبك، أعتقد أن هذا دلالة جيدة على قوة المشاعر التي أكنها لك. إذا كنت تهتمين لأمري ولو ربع ما أهتم لك، يمكننا خوض هذه التجربة معاً».

شعرت كالي بقلبها مرتبكاً، مضطرباً حين أخذت تحلّل ما قاله لها. بالطبع لن يستطيع... من المستحيل أن يستطيع فعلاً...

حين استوعبت الحقيقة أخيراً، الحقيقة التي لا يمكن تصديقها، شعرت بقلبها يرتعش، ويرقص من الفرح. إنه يعرض عليها الزواج! الزواج! هي!

فأجابت مقطوعة الأنفاس: «آه... آه، نعم! نعم، عزيزي أقبل الزواج بك!».

أجفل نيكولاس لبرهة لكنه لم يتكلم، كما لو أنه يتوقع أي جواب إلا نعم. وبعد ثوانٍ، استوعب ما جرى فقال بنعومة: «أشكر...».

لكنه لم يستطع إكمال جملته، ضمها بين ذراعيه وعانقها بشغف، ليشبع شوقه إليه. أخذت تبادله العناق، تتنشق رائحته، وتشعر بحرارة حبّه. وراحت تتذكر وعده لها بأن يقدّم لها كل ما يمكنه من حب، وتعهّدت كالي في سرّها أن تبادله تلك المشاعر المحمومة عينها.

وحين توقف عن معانقتها، شعرت بصعوبة في التنفس لكنها لم تكترث لذلك. كان الفرح يملأ قلبها، فرح كبير وسعادة. لم تعد أحلامها مجرد أوهام لا أمل منها، بل استحالت حقيقة.

إنه لمذهل حقاً أن تختفي مشاعر الذنب والحزن والإضطراب فجأة، لتحل مكانها ابتسامة محبّة.

ـ هل ترغبين بالعيش هنا يا عزيزتي؟

أربكها سؤاله فقالت له: «ماذا؟».

ـ إذا كنت ترغبين بالعيش هنا، فالوقت ما زال أمامنا. لن يبدأ المزاد قبل

أن أعود إلى المنزل.

ـ لكن... لكن يا نيكولاس، ألم تهبه لجمعية خيرية؟

أجاب: «نعم، لكنني أملك الحق في أن أزايد كغيري من المدعوين».

سرت قشعريرة في جسدها، وأخذت نفساً عميقاً بعد أن أدهشها كلامه.

ـ هل حقاً تعني ما تقوله يا نيكولاس؟

ـ طبعاً يا كالي. أريدك أن تكوني سعيدة. ما عليك سوى قول ذلك، لأشتري لك هذا المنزل.

شعرت كالي بسعادة كبيرة، ولم تصدّق أنه يمكن للمرء أن يبلغ تلك السعادة. إن الرجل الذي تحبّه ينوي القيام بأي شيء من أجلها.

قالت: «مجدداً؟».

ضحك نيكولاس ضحكة مستها في الصميم وقال: «هل أعتبر جوابك إيجابياً؟».

فقالت كالي: «نعم».

وشعرت بالرهبة تملأ قلبها. كان حبّه لها مفاجأة وعزيزاً على قلبها أكثر مما تتصوّر.

ـ أحبك كثيراً، وسأعبّر عن مدى حبي لك طيلة حياتي معك.

ابتسم نيكولاس وهو يعانقها: «هذا ما كنت بحاجة لسماعه».

ثم التفت نحو السماء، وقال: «حسناً، حسناً يا جدّي...».

وضحك ثم قال بصوت أجشّ: «... أمهلنا تسعة أشهر فقط».

ثم غمزها وقال لها: «يريد جدك أن...».

ـ أنا أيضاً يا حياتي!

وعانقته عناقاً حاراً ثم قالت: «... في أسرع وقت ممكن!».

***